نوافذ وقصص أخرى

عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام

دليل القصص الفائزة في مسابقة
القصة القصيرة الثانية المقامة ضمن فعاليات

أسبوع الإمامة الدولي الثاني

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٤ م

العتبة العباسية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية. مركز الدعم والتوثيق. اسبوع الامامة الدولي (الثاني : 2024 : كربلاء، العراق)، مؤلف.

نوافذ وقصص اخرى عن الامام الحسن العسكري عليه السلام : دليل القصص الفائزة في مسابقة القصة القصيرة الثانية المقامة ضمن فعاليات اسبوع الامامة الدولي الثاني.-الطبعة الاولى.-كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، مركز الدعم والتوثيق، 1446 هـ . = 2024.

98 صفحة ؛ 24 سم

يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.

1. الحسن العسكري، الحسن بن علي بن محمد (عليه السلام)، الامام، 232-260 هجري--فضائل--قصص. 2.القصص الدينية--العراق--القرن 21. 3.القصص العربية القصيرة--العراق--القرن 21. . أ. العنوان.

LCC: BP193.21.A3 A8366 2024

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

الفهرسة أثناء النشر

اسم الكتاب: نوافذ وقصص أخرى عن الامام الحسن العسكري عليه السلام
الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية / مركز الدعم والتوثيق
الاشراف العام: السيد عقيل الياسري
الاشراف الفني: سرمد سالم حسن
التدقيق اللغوي: منتظر نعمة نجم
التصميم والاخراج الفني: كرار عامر الصافي
دار الكفيل للطباعة والنشر
الطبعة: الأولى
عدد السخ: ٥٠٠

المقدمة:

إنّ الصور غالبًا ما ترقد في المخيلة، ولا تصبح في متناول الجميع إلّا عندما تُدوَّن عبر كلماتٍ متناسقة ومترابطة باستخدام أحد الفنون الأدبيّة، فالكلمات المكتوبة على الورق تخلق عوالم جديدة تعجّ بالأحاسيس والأفكار، ومع كلّ كلمة ينبثق عالمٌ جديد، ومع كلّ جملة تتداخل الأحداث، لتصبح الصورة أوضح، نابضة بالحياة.

الكاتب والشاعر هم من يمنحون الحياة لهذه الصور، ويجعلونها تسافر عبر الزمن لتصل إلى كلّ قارئ، تاركة أثرًا لا يُمحى في قلبه، فالمجال الأدبي مليءٌ بالحيوية والمشاعر والأحاسيس، وله القدرة على الوصول إلى وجدان المتلقي بأقصر الطرق.

إنّ التوجه نحو إقامة المسابقات الأدبية يُعدّ محاولةً جادّة لردم الفجوة بين الثقافات، والوصول إلى الكُتّاب في مختلف دول العالم، من خلال إتاحة الفرصة للتنافس في صياغة نصوص إبداعيّة تحمل أفكارًا حداثويّة تُبرز شعار المسابقة ومحاورها.

إنّ مساهمة العتبة العبّاسيّة المقدّسة في إقامة مسابقة القصة القصيرة عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام ضمن فعّاليّات أسبوع الإمامة الدولي الثاني ما هي إلّا واحدة من المبادرات الفاعلة لتسخير الفنون الأدبيّة في خدمة رسالتها، وتحقيق أهدافها في إحياء تراث أهل البيت

عليه السلام، وإعادة تقديمه بأسلوبٍ معاصر.

تهدف هذه المسابقة إلى تسليط الضوء على جوانب من حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، والتعريف بقيمه النبيلة، وسيرته الكريمة.

استقبلت المسابقة في دورتها الثانية (٧١) مشاركة من ست دول هي: (الجزائر، لبنان، إيران، البحرين، سوريا، والعراق)، وأسفرت النتائج عن فوز عشر قصص من أربع دول، أُدرجت في طيّات هذا الكتاب، الذي أطلقنا عليه اسم «**نوافذ**»، كونه يمثّل نوافذ على حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وقد اشتُقّ الاسم من إحدى القصص في هذا الكتاب.

تسعى العتبة العبّاسيّة المقدّسة من خلال هذه المسابقة إلى إثراء الساحة الأدبيّة والثقافيّة بنصوص قصيرة مستلهمة من حياة الأئمة الأطهار عليهم السلام، وتشجيع الكُتّاب والمبدعين على الإسهام في توثيق إرثهم الخالد بأسلوبٍ أدبي حديث.

الدّوران

القصة الفائزة بالمركز الاول

للكاتبة أفنان عادل عباس مهدي الكربلائي

- العراق -

افترّ ثغر اللّيلة المباركة عن سكينة غريبة، وشعّ سلام حالم على دروب الكون، ومسالك الطّرق رغم تشعّبها وتقاطعها، لكن سرعان ما كشّرت الوحشة عن أنيابها، وتجّهمت الحياة كأنّها لم تبتسم يوما بوجهي!

لم يمضِ وقت طويل على وصولي هنا بعد تخبّط أشرعتي في بحار معتقدات عدّة، أمواج الضّياع قذفتني على شاطئ التّكية السّليمانيّة، وبدل انتهاز فرصة الارتواء من مياه العشق، وضرب دفوف الوصل، ها أنا أريق الماء وأجحده، ولا أكتفي بذلك بل أتجاسر لأكسر الدفّ والرّاح!!

فهل أصاب والديّ كبد الحقيقة حين صرّحا بأنّ روح شيطان تتلبّسني؟

بدليل تخبّطي وتردّدي في متاهات لا بداية لها ولا نهاية رغم وضوح الطّريق، وبدوري أنحيت باللّائمة عليهما، فمنذ خروجي على النّواميس الموروثة، والقوالب الجّاهزة لم أكفّ عن الدّوران... هذا الّذي لم أفلح في إكماله اللّيلة، والسّبب أن لا شيء طرق سمعي في المحفل سوى موسيقى العدم كفضاء خالٍ من الإحساس، لا شيء سوى الوهم طوّقني فمنعني من الاندماج المطلوب مع حركة الكواكب حول الشّمس واستلهام الفيوضات السّماويّة... لا شيء.

إحساس بالذنب يفترسني كما يفترس اللّيث غزالة مستسلمة، وربما هو إحساس بالضّياع مجددا، ليس مهمّا ما أشعر به الآن؛ لأنني فعلت

فعلتي وانتهى أمري، لقد مزّقت كلّ أوراق عودتي للمكان الذي آواني حين نبذني الأقربون، واحتضنني في زمن أسلمني فيه الأدنون.

هرعت إلى باحة التكية متواريا عن سهام نظرات الجمع، هاربا كلصّ مطارد، نزعت قلنسوتي وأنا أواصل ركضي في الممر المسقّف بالقبب الصّغيرة، لم ألتفت خلفي لكنّ نظرة خاطفة حانت مني للقمر المسّور بهالة رماديّة شبيهة باللون الّذي أمقته، وتمنيّت في سرّي أن ينتصر ضوؤه عليها ولو بعد حين، أسرعت واختبأت في زاوية إحدى الغرف الباردة كاتما أنفاسي ريثما تنتهي حلقة الذّكر، لست متأكّدا مما اعتراني فجعلني أهرب رغم تدرّبي الشّاق وتصميمي البارحة على النّجاح، انكمشت على نفسي كجنين ينتظر أن يولد في حياة أقلّ توترا وأكثر استقرارا، هكذا ولمدّة غير طويلة بقيت محاولا تهدئة ضربات قلبي المتسارعة، ومسح حبّات العرق النّاضحة من جبهتي رغم برودة الجّو.

نسيم عذب تسلّل حاملا أصوات المدّاحين عندما فُتح الباب فجأة دون طرق أو استئذان، استرقت النّظر لظلّ درويش يخطو نحوي، ناداني باسمي فميّزته من صوته، كان من المقرّبين لي في الفترة القصيرة الّتي قضيتها في المكان، لا أنكر أنّي لمست منه الأدب الجمّ في مبيتنا المشترك مع باقي الدّراويش الجدد، جلس القرفصاء قُبالتي فالتقت عيوننا، وكان صوته أقرب للهمس منه للجّهر:

- لا بأس، أعلم أنك منزعج ممّا فعلته، هوّن عليك فالجميع مدركٌ صعوبة السّير في البدايات.

جاهدت لأكتم صراخا مدويّا في داخلي يخبرني أنّي ما زلت تائها في مفازات المجهول ولم أضع قدمي على الطّريق الصحيح، عاود همسه، وعيناه تطلبان منّي جوابا:

- السّير على طريق الوصول وصول، أليس كذلك؟

ظلّ الصّمت جاثما كجواب بليغ أمام إعصار همسه الّذي حاول اقتلاع جذور حيرتي، فكيف عساي أقنع نفسي أنّ النّار والجّحيم يقبعان داخلنا، وأنّ الزّيت والماء من الممكن أن يجتمعا، وأنّ الطّرق بعدد أنفاس الخلائق!!

ثقل ما أنوي قوله جعلني متردّدا فاخترت ألّا أردّ، وارتسمت على وجهه ابتسامة متكلّفة، كأنّه يئس من محاولة إقناعي بالعدول عن قراري الّذي لم أبح به، إلّا أنّه لشدّة وضوحه بدا كأنّه مكتوب على جبيني يقرأه العالِم والجّاهل بل حتّى الأمّي قادر على فكّ شفراته، قراري بالخروج مجدّدا لأكتشف خلجانا لم يرسُ قاربي عندها بعد، إنّ في التّخلي تجلٍّ ما زلت أبحث عنه، بيد أنّ تفكيري في إفساد رقصة (سما) ليلة الإسراء والمعراج كان يدمي قلبي، إنّه التّفكير الزّائد الّذي سيرافقني لآخر أيّامي مسبّبا لي صداعا مزمنا، لا شكّ أنّ التّفكير

العقلانيّ هو ما يميّزنا عن باقي الكائنات، لكنّه يستحيل لعنة مؤذية إذا زاد عن الحدّ المفترض، وفاض فأغرق حياة المرء بأفكار صاخبة لا تهدأ حتّى في أكثر الأوقات الّتي يحتاجها للرّاحة والسّكون، أحيانا أغبط الأشخاص الّذين يعيشون أعمارهم يوما بيوم، ومن يبقون في السّطح ولا يتكّبدون عناء النّزول والنّفاذ لأعماق الكون والحياة... آاااه كم هي فكرة الحياة الأبديّة مرعبة، فكيف إذن لا أفكّر في الطّريق وهو من يؤدّي بي إلى جنّة وارفة أو جحيم مقيم؟!

سنوات من الذّاكرة تتراكض في ذهني، الدّروب التي اجتزتها، المذاهب الّتي حاولت اعتناقها، كلّها لم تشبع فراغ روحي، فراغ يتمادى ويتمادى ليمضغني من الدّاخل... انتشلني صوت صرير الباب وهو يغلق من دوّامة التّفكير وخذلان الذّكريات، يبدو أنّ الدّرويش تركني بعد أن ألقى خطبة طويلة، لم يصلني منها سوى بضع همهمات عن حلول واتّحاد وقرب ومكاشفة، فلمّا رآني ساهما عنه وعن الوجود توارى بدماثة، معتقدا أنّي سأثوب إلى رشدي بالاختلاء بذاتي واستنطاق شعوري ربما، غير أنّي علقت أكثر وأكثر، فلا أنا حظيت براحة الجّاهلين، ولا تذوّقت لذّة العارفين!

هاجس ما دفعني باتّجاه تنفيذ قراري، ولم تزدني مرارة الوحدة إلّا إصرارا على الانسلاخ والثّورة بتأجّج رغبتي بالخروج من التّكية، فما كان

من قدميّ إلّا الانصياع لهذه الرّغبة ومطاردة مجاهيل لا يمكن التنبّؤ بماهيّتها، فلا يضير التّائه إن أمعن في تيهه، كما لا يؤلم الميّت إن بالغت مدية الزّمن في تقطيع أوصاله، بتّ لا أكترث لسوء العواقب مهما كانت.

خلعت التنوّرة البيضاء رمز الكفن والفناء، ووجدت نفسي هائما على وجهي من غير وجهة أقصدها، لكنّ ذلك أهون من البقاء في مكان لا أنتمي له رغم بريق جماله، لقد كان مغريا من بعيد كوردة لم تتفتّح، جذبني غموضها وبراءة منظرها، متناسيا أنّ للورود أشواكا تدمي عند محاولة الإمساك بها، وأن أي بريق يختفي عند التوّغّل فيه ليغدو عاديّا أو دون ذلك أيضا، إنّما يكمن السّحر في البدايات.

شيء بداخلي أحسبه حدسا يرسل لي إشارات أحاول أن أحسن التقاطها، تخلخل المسافات وتقودني إلى درب مترب بعيدا عن صخب المدينة وضجيجها، قلّة سالكيه لم تثر استغرابي فهو طريق محفوف بالمكاره، ورغم صعوبة السّير فيه لم أتوقّف، بل واصلت ساعيا لمتنفّس أتوقّعه خصبا بعد مشقّة رحلتي، فما الجدب إلا مقدّمة لواحة غنّاء مخبوءة، ونمير زلال يروي تعطّشي للحقّ.

ولمّا كنت معتادا على التنقّل لم آبه بالإعياء الآخذ بإبطاء حركتي، أرفع قدما وأنزل أخرى في حركة رتيبة مثقلة لكنّها ثابتة ومتواصلة، وفي لحظة ما أوشكت على الاستسلام بتصدّع صخور صبري وتأزّم وحشتي،

وقبل أن يعقد اليأس نيته على إخضاعي طردت أفكارا سوداويّة تمارس الدّوران هي الأخرى في فكري كخذروف لا يعرف التّوقّف ... شيئا فشيئا بدأ المكان حولي يتغيّر، وثوابت الكون تتبدّل، غرابة ما بعدها غرابة، أنوار تضحك، نسمات بطعم الفاكهة، تراب بملمس الحرير!!

إنّ الإرهاق الممزوج بالضّياع له سطوته، هي المنافي تؤرجحني كعادتها... قلت في نفسي، رحت أجيل النظر وأنا أواصل السّير، بدا الأمر حقيقيّا وكدت أنّ أصدّق هذا التّنافر اللّذيذ الّذي تتلقّفه حواسي الخمس بتخمة شعوريّة، توهجٌ بصريّ اكتسبته دون إشعار مسبق كشف لي عن رجل أسمر، أعين، حسن القامة، جميل الوجه، جيّد البدن، له جلالة ومهابة تذلّان له الملوك، وتسخّران له السّباع في الأرض والطّير في السماء، تفصلني بضعة أمتار عنه حيث يعسكر، لم يفاجئني وجوده بقدر ما أجفلني مصباحه المضاء من غير زيت، وانبجاس غدير ماء بين يديه، وانفلات عقال الأشجار طوعا لأمره، ودوران الكواكب رهن إشارته!!

حرّكت شفتيّ لأسأل عنه هوّيته وعن الطّريق الصّحيح، لا ريب أنّه يعرفه، ولم أعثر على تفسير واضح لاختفاء صوتي بغتةً بل وتلاشيه في العدم، وظهرت إمارات الاستغراب بادية على ملامح وجهي المرهق، فلماذا تحتدّ حوّاسي بينما ينعقد لساني الذّلق على حين غرّة؟!

كانت الأسئلة تتخبّط في صدري ولا تجد لها منفذا مع ثقل لساني

وعجزه، وعلى نحو غير متوقع تكلّم الرّجل الجّليل بصوت مفعم بالأمان، وكلمات مشحونة بالحرص، كأنّه مطّلع على خلجات روحي:

«سيأتي زمان على النّاس... لا يميزون بين المخلص والمرتاب، ولا يعرفون الضّأن من الذّئاب، علماؤهم شرار خلق اللهّ على وجه الأرض، لأنّهم يميلون إلى الفلسفة والتصوّف، وأيم اللهّ إنّهم من أهل العدول والتحرّف، يبالغون في حبّ مخالفينا ويُضلّون شيعتنا وموالينا، فإن نالوا منصباً لم يشبعوا من الرّشاء، وإن خذلوا عبدوا اللهّ على الرّياء، ألا إنّهم قطّاع طريق المؤمنين والدّعاة إلى نحلة الملحدين، فمن أدركهم فليحذرهم وليصن دينه وإيمانه». [1]

كان لكلامه تأثير طاغٍ عليّ، فلم أتمالك نفسي واستبدّت بي رغبة بسؤاله عمّن سيأخذ بيدي ولا يكتفي بإراءتي الطّريق، فعزمت على ضخّ القوّة في صوتي، لكن ولسبب ما زلت أجهله تناثرت موجات صوتي في الهواء كطيور مهاجرة تحلّق في سماء بعيدة، ولم يكن الرّجل ينظر لي ليقرأ شفاهي، لكنّه وبقدرة عجيبة أزال حيرتي بقوله:

«ابني محمّد هو الإمام والحجّة بعدي، من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهليّة، أما إنّ له غيبة يحار فيها الجّاهلون، ويهلك فيها المبطلون ويكذب فيها الوقّاتون، ثمّ يخرج فكأنّي أنظر إلى الأعلام البيض تخفق فوق رأسه بنجف الكوفة». [2]

١- مستدرك الوسائل ج١١ ص ٣٨٠

٢- بحار الأنوار ج٥١ ص ١٦٠

علق ما قاله في وجداني، وسرت سكينة ناعمة في أوصالي، وتيقّنت أنّه الإمام العسكريّ الّذي قرأت عنه في رحلة بحثي المتواصلة عن النّهج السّويّ، وأنّه يعني بحديثه ابنَه المنتظر الموعود، كنت قد اقتربت كثيراً منه، وبدا لي أن مصافحته ممكنة بعد أن دلّني على الإمام والمرشد الحقّ في هذا الزّمان، مددت يدي لأصافحه وأشكره، غير أنّ الإعياء شلّ أعضائي فسقطت أرضا....

بعد برهة فتحت عينيّ واستويت جالسا فوجدتني افترش الطّريق المترب، لكنّي لم أجد الإمام، ولا حتّى المصباح والغدير، ربّما لم يحدث ما حدث إلّا في مخيّلتي، أو أنّ هوّة شاسعة تقاس بالأزمنة لا بالفراسخ كانت تفصلني عنه!!

إلا أنّ صدى كلماته النديّة ما تزال تتردّد بين جنبات قلبي، بينما يغمرني شعاع القمر الدّافئ مبدّدا هالته الرماديّة، جارفا كلّ حيرة وتيه، وبكامل وعي وإدراك تتبّعت آثار أقدام حديثة رسمتْ طريقا مستقيما، ومنذ تلك اللّيلة لم يستطع الدّوران إلى حياتي سبيلا.

نوافذ

القصة الفائـزة بالمركـز الثاني

للكاتبة نجوى علي الموسوي

- لبنان -

أطلقت زينة «زمّورَ» البكاء منذ الصباح الباكر. ابنتُنا ذاتُ «متلازمة داون»، تطرق «سنديان» سريرها، تضرب باب الشقّة، وتلفظ مرارًا تكرارًا: «مَك.. مَك..». عرفنا قصدَها؛ تريد الخروج إلى المكتبة العامة. اعتدنا «نقيقها» المتواصل في أغلب الأوقات، فكأنّك تنام وهدير «حفّارة البئر فوق أذنيك». لكن الهدير هذه المرّة اخترق المعتاد. طوال عقود عمري الخمس، لم أؤمن بالمعجزات بعد الأنبياء، ولم أؤمن أيضًا بالصدفة، لكن ما سأرويه الآن بدا لي غريبًا حدّ المعجزات.

رجتني أمّها كريمة أن نلبّيها، ولكي لا تعتد «زينة» هذا الأسلوب في طلب الأشياء، اقترحتْ أن نحتجّ بشراء دواء من الصيدلية، فهي في الطابق الأوّل من البناء وقاعات المكتبة في الطابق الثاني. نفّذنا المقترح. أخذت زينة ترفرف بيديها وتترنّم بالألحان العجيبة مسافة «خمسة كيلومترات» من بيتنا في منطقة «جسر مطار بيروت» حتى المكتبة في منطقة «المعمورة». ركنتُ سيارتنا «الهوندا ٢٠١٥» في موقف البناء وقلت: «لا تتأخّرا سأنتظركما».

طويت فاتورة الدواء «باراسيتامول»، وهممت باستخراج حبّة، وإذ سمعت أنينًا وصياحًا. وقع حجر ضخم في صدري. صحيح أنها تعذّبنا بسلوكها، لكن يدًا تسحب قلبي نحوها. المصعد مشغول. هرعتُ مستخدمًا الدرج. دسست العلبة في جيبي.

وجدتُها تلتصق بأمها من جهة، فينزاح حجابُها عن رأسها من جهة ثانية، تئنّ ثم تعضّ على زندها، أدركت كيف سيحمرّ كالعادة إطارٌ يشبه الساعة المدبوغة على جلدها الأبيض. بادرتني كريمة بالقول: «أحدهم استعار قبلنا قصة ذات صورة جميلة، لم أعلم أنها أرادتها إلا بعد انصرافه ووالده».

كانت «هانية» أمينة المكتبة الحامل تنسّق كتبًا دينيّة. وضعتها فورًا على طاولة أمامي. ثم أخرجت من جيبها قطعة «شوكولا»، لتستحوذ على اهتمام زبونتها المشترِكة «زينة»، واستطاعت استدراجها نحو قاعة الأطفال. وقفتُ أنا قرب الطاولة. شدّني أوّل كتاب. عنوانُه جريء صارخ: «الشيعة في التاريخ وأسطورة المهدي!».

رجعن إلى الصالة الرئيسة، نظرت زوجتي إلى يدي والكتاب المحمول باستياء، بل بارتياع؛ لعلّها فكرت كيف يكون ما حصل من زينة سببًا لأجد إصدارًا للمؤلّف المفكّر الشهير «الحاج عاصم»! ذاع صيت الرجل مؤخّرًا وهو يهاجم «الإماميّة الإثني عشريّة». أما أنا فقد شاهدت قسمًا كبيرًا من تسجيلاته على قناته «يوتيوب». ما انفكّ يدلي بآراء عن التاريخ الخفي، يدعمها بمنطق ولغة عصريّة، وبأسلوب عاطفي وعلمي، وبراهين جديدة تلامس الرغبة بملاحقة دهاليز المحظور! لم أجد أنا ما ينقضها، بصفتي أستاذًا سابقًا في اللغة العربيّة

قبل أن يقيدني «الروماتيزم». شيئًا فشيئًا استحسنتُ إطلالاته، وعبّرت عن ذلك، وطفقت تنفذ إلى داخلي وتنفذ.

رأيتُ في وجه كريمة انزعاجًا. كأنها نسيت طبخةً على النار واستنشقت رائحة احتراقها.

استعرتُ الكتاب وجلبتُه وسط استنكارها المكبوت لكي لا تضطرب زينة مجدّدًا.

لم تغرب شمس ذلك اليوم إلّا وقد التهمتُ مئةَ صفحة، وابتلعت كريمة ثلاثة أقراص «باراسيتامول». وصلتُ إلى فصل «انقطاع الإمامة في زمن العسكري»، خلص فيه الكاتب إلى أن «المهدي» لم يولد! وعرضَ معطيات جعلته يشكّك في سبب عدم إعلان العسكري عن ابنه للملأ، فعزاه إلى عدم وجوده! وقال إن قوة الإقامة الجبريّة ودقة الرقابة لم تكونا لتغفلا عن المولود الموعود! وأن ثمّة عوامل لانقسام المسلمين إلى فرق بعد استشهاد العسكري تستدعي تحليلها بطرق مختلفة عن السائد..

في المساء احتضنت زينة قصتها المستعارة، وظلّت شاردة حتى نامت في حجرتها أخيرًا.

رأيتُ وجه كريمة الغاضب، ثم حارت ودارت قبل أن تستقرّ في غرفة المعيشة. أمسكتْ جهاز التحكّم «الريموت»، وأخذتْ تقلّب عشوائيًّا قنوات الأخبار. راقبتُ خلسة سمات فضولها، وهي تسترق

النظر إليّ خلال قراءتي، وتتنفّس عميقًا. وما إن سألتني عمّا وجدتُه، حتى صارحتها بنبذة عمّا أنهيته، ثم صرّحتُ بأنه طرح منطقيّ، ويؤخذ بعين الاعتبار. جحظت عيناها، وسألت:

– هذا مخيف.. هل بات رأيُك كذلك فعلًا؟

– وهل قلت إنه رأيي؟ أراك تخافين سماع كلّ ما يخالف عاداتنا وبيئتنا!

– ولماذا لا أخاف؟ الكذّابون ومن يدعمهم يريدون أن..

– الرجل حرّ برأيه، لا تضخّمي الأمور.

بل هو يضلِّل برأيه، فهل من مسلمٍ مستفيدٍ من الافتراءات بهذا الشكل؟

– أراه يحاكي العقل، فمن شاء فليقتنع، ومن لم يشأ فلا يتابع، أو فليأتِ بإثباته!

قضت زوجتي الليل سهرًا في صالون البيت. بين ساعة وأخرى تفقّدتها. اقتربتُ بعد صلاة الفجر، لمستُ على الكنبة ورقة، فتحتها كانت قد خطّت عليها: «أوجعتنا الغربة يا ابن العسكري». لاحظتُ احمرار جفنيها من البكاء المخنوق. وسمعت زفراتها.. ردّ فعلها المبالغ فيه لم يكن مبررًا.

صباح اليوم التالي كان عطلة تعليميّة لزينة ولكريمة، هي سعت لوظيفة «مرشدة تربوية» في مدرسة ذوي الاحتياجات الخاصة، لكي تظلّ بجانب البنت مردّدة: «زينة قطعة من الجنة بيننا».

ظهـرًا، دخلـتْ كريمـة غرفتنـا ورتَّبتهـا. رأيـتُ ملامحهـا هادئـة. لم أحـاول معرفـة سرّ ارتياحهـا.

لم ألبـث كـثيرًا حتـى حكـت هـي كل شيء؛ لقـد اتصلـت منـذ الصبـاح بـدار النشر في منطقـة «الحمـرا» على تطبيـق «وتـس أب». أرادت أن تنهرهـم وتفـرّغ سـخطها على طباعـة كتـاب لا يفيـد بـل يشـكّل خطرًا ويـزرع الشـك في العقـول كما قالـت، فـردّوا اسـتنكارها ودافعـوا عـن سياسـتهم الإداريـة.

أخبروهـا أن اختصاصيًّا هـو الشـيخ الدكتـور «محمّـد السـاحلي»، وضـع كتابًـا يفنّـد فيـه تصريحـات الباحـث «عاصـم»، وفـق منهـج تاريخـيّ وفلسـفيّ مبسّـط. وهـم طبعـوه حرصًـا على احترام الآراء المتنوّعـة. وفـورًا، طلبـت كريمـة شراء الكتـاب وفـق خدمـة التوصيـل «ديليفـري». انـجلى سرّ الهدنـة النفسـيّة التـي منحتهـا لنفسـها بعـد وصـول الكتـاب. اسـتحلفتني لقراءتـه، وهـدَّدَتْ بانكسـار أن تترك لي بنتًـا «معوّقـة» تجـاوزت الخامسـة عشر منـذ أقـل مـن شـهر. قـدّرتُ أنهـا تهيّـؤات، فهما ملتصقتـان قلبًـا وقالبًـا، ولكنني ضحكـت لأطيّـب خاطرهـا، وأمسـكتُ بكتـاب الـردّ لأسـتطلعه، وقلـت:

– لا تتكـدّري يـا مجنونـة! كلّ مـا في الأمـر أنهـا تسـاؤلات التقـت مـع بعـض تسـاؤلاتي.

أفشـى تأفّفهـا أنهـا لم تصـدّق. تمتمـتْ بـكلام لم أفهمـه، وشـاهدتُها تكتـب وترسـل رسـائل التحذيـر لأمينـة المكتبـة، وجّهتهـا بلغـة الأمـر إلى منـع

ترويج كتب تضيّع عقائد الناس! أما أنا فامتعضت، ولكن حملت كتاب الردود، ثم تركته لتناول الغداء، وتصفّحت الفهرس حتى العصر.

فجأة، رنّ هاتف كريمة. الرقم لدار النشر، ولكن المتصل هو الكاتب الشيخ محمد شخصيًّا. طلب محادثتي! نفرتُ، إلا أنني رددتُ لأرفع الحرج عن أمّ ابنتي. عرّفني بنفسه بنبرة هادئة وصوت رقيق. قال إنه كان في زيارة لدار النشر لتنسيق كتاب جديد لحظةَ طلبنا كتابَه.

تعرّق جبيني، وهو يبلّغني أن ردوده في الكتاب لا تكفي، وأنه يُسرّ بتقديم إجابات وتوضيحات للمشتري مباشرة، وأنه يجب أن يقابل المهتمّ لجلاء الموضوعات القابلة للتطوّر سلبًا. أصابني مسّ كهربائي. اعترفت أنني المهتمّ، لكن فررتُ من الموافقة بقول: «نتواصل لاحقًا، وأفضّل إنهاء تصفّح الكتاب أوّلًا».

أطعمَت كريمة فتاتنا ووضعتها بعد ساعة أمام «مكعّباتها» المألوفة، ثم صدمتني بخروجها عن المألوف، ضبطتُ انفعالي وهي تقول:

- إن رفضتَ المقابلة يا عماد تكون مغرورًا مكتفيًا بنفسك. أتصمّ سمعك عن الحق؟

- وكيف تيقّنتِ أنه الحق! كلها وجهات نظر!

- حسنًا، افتح الباب للطارق، فإمّا أن تقبل الوجهة المختلفة أو ترفضها أو تضعها في دائرة الإمكان.

– أيّ باب وأيّ طارق، أيّتها المثقفة؟

– باب عقلك وقلبك.. أما طرقته يد الرحمة؟ وإلّا كيف وصلك كتابٌ ثم كتابٌ ثم عالمٌ!؟

فكرت بملل إذ أعرف أن كتاب الشيخ محمّد لن يأتيني بجديد. لكن لم أجد بُدًّا، أعجبني ترفّعه عن الشتائم والاتهامات في ردوده . فقرأت منه الكثير. وكريمة على مرّ الدقائق تستفسر: هل طالعت استدلالاته؟ هل هي مفهومة؟ في أيّ صفحة أصبحت؟ هل هناك منطق؟ ماذا وجدت؟ هل الكتاب مُقنع؟ وساد توتّر من نوع جديد مختلف..

على مدى يومين، وضعتُ خطوطًا تحت سطور أقنعتني. نقلتُ أسماء كتب من القرن الثالث الهجري استخدمها الكاتب في ردوده؛ ككتب «الصدوق والمفيد والنعماني والنوبختي وحتى القُمّي الأشعري والطوسي» وغيرهم.. ثمّ سجّلتُ ما جذبني للتبصّر؛ بيّناتٌ تظهر تدبير الإمام الحسن العسكري لأجل صون حياة أمّ المهدي مثل ستر حملها، أبعاد تؤكّد ظروف الحصار المحيط بالعسكري من الإرهاب والعنف السياسي، كتمان ولادة خاتم الأئمّة يحميه ويحيط كيانه بالسريّة، إعلامُ الخواص يثبت الشهود، علامات الأصحاب تشير إلى أمانتهم، معرفتهم شخصَ القائم تطمئِنُ قلوبهم..

على مدى يومين، تصل زينة من المدرسة وتسرع لمعانقتني، ألاعبها

وأحادثها وأعود للقراءة. ومع ذلك احتجتُ المزيد من قرائن تاريخيّة، فكتبت أسئلتي عن رواية أصحاب العسكري ومشاهدتهم للحُجة. وصمّمت على اكتشاف ثمار تمهيد العسكري لخلَفه الإمام.

مستسلمًا قصدتُ الشيخ الملحاح في مركز عمله التبليغي بعد مهلة وجيزة. جاء هو إلى الباب مع عامل الاستعلامات، فوجئتُ بطلّته «الحنطيّة» الصافية. شبابُه وادع أكثر من صوره على «الإنترنت». استقبلني بحفاوة ثم قرّب الشاي الساخن. وطالت الجلسة.

أنبأني الشيخ بالمقرّبين للعسكري القادة الخُلّص. سرد من سيرة كلّ منهم صفاته المُحقَّقة محلّلًا شخصياتهم.. محّص في وجود «عثمان بن سعيد العمري» صاحب الإمام علي الهادي، وقد تطوّر ليصبح محلّ ثقة العسكري ثم سفيرًا للمهدي أيضًا. انبرى يتلو روايات ويريني مصادر إضافيّة لها ويثبّت لي إسنادها؛ حفظت منها قول الإمام «الحسن الثاني» عن ابنه المهدي وكأنّه يخاطب المشكّكين حتى زماننا: «هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم، أطيعوه. ولا تتفرّقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم، ألا وإنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتى يتمّ له عمرٌ، فاقبلوا من عثمان ما يقوله، وانتهوا إلى أمره.. فهو خليفة إمامكم، والأمرُ إليه».

في أقلّ من أربع وعشرين ساعة، فهمتُ أن أسئلة أخفيتُها أربع وعشرين شهرًا تقريبًا، تنتج عنها أسئلة، وقد شرعتُ ألمس الإجابات.

أشبعتني إسهاباتٌ منطقيّة ونتائج، وأُهديت كتبًا أضاءت دماغي.

وتكرّرت اللقاءات أسابيع وأسابيع. ولجتُ عالمًا مدهشًا من تعلّم ما ظننت أنني أعرفه قديمًا. استفسرُ ولا أستنكر، غدت كلماتٌ من تاريخنا ومصطلحات لمستقبلنا مثل نسمات تداعب رئتين في حرّ الصيف. بحياتي لم أعشق التعمّق في إحدى السيَر كما أمسيتُ مع سيرة الإمام العسكري.

أيقنت بجدوى «استراتيجية» والد المهدي في التأسيس للأمّة لتحيا انتظار الخلاص. كأنّ تلك الجدوى أمست مصراع شُبّاكي في وجه الزوابع. حقّ عليّ الامتنان للإمام العسكري، وقد وقع في قلبي أنّه أدار عمليّات الوصل بين أهداف أوّل محمّد وآخر محمّد، بناءً وحماية وتعيينًا لسفراء وتسليحًا بالإيمان، ليس أثناء عمره فقط بل لكل زمان.. فهل يرتاح تائه الصحراء عند الواحة أكثر مني الآن؟

ها أنا أستعيد كل تلك الأحداث. أكانت معجزةً أم صدمة أم جذبة أم سببًا ونتيجة؟ لا أعلم، لكن ما أعلمه أن «الله» هو مسبّب الأسباب، وأنني سأقدّم في كلّ «نصف شعبان» هدية غالية للقطعة من الجنة «زينة».

أفكّر في البحث عن لعبةٍ حِسيّة حديثة كما نصحتْني كريمة، أمسحُ شاشة الهاتف في يدي، أضغطُ ببصمتي، وإذا بعشرات المنصّات تنبثق على الشبكة العنكبوتيّة مثل منصّة «عاصم»، تحت عنوان: «عماد، إليك مقترحات قد تهمّك!».

من شتّيات العراق

القصة الفائـزة بالمركـز الثالـث

للكاتب أ . م . د. عباس إسماعيل الغراوي

- العراق -

افتقدتني فوجدتني مُضاعًا من يديّ اللتين لم تعودا قادرتين على الفعل الإرادي في كثير من الاحيان، نصحوني بالذهاب الى الحكيم، قالوا أنهّ موجود في مدينة النقاء، ولكن عليك أن لا تتأثر بالاشواك المغروسة في طرقها، توجّهت إليها، أريد أن أجده لأجدني، وليجعلني حرفًا تتقبله الألسنة باحترام، في كل مرّة يقترب الطريق ويبتعد، يضيق ويتّسع، حتى شارفت على اللحاق به، كان يمضي وظله شيء من الضّوء، وصمته لغة مليئة بالبيان، يجيد التحدّث بأكثر من لغة، لا يمكنك أن تضمر شيئًا أمامه لأنه سيعرفه، أسرّ أحدهم في نفسه، أن تفسير آية معينة، هو أشبه بالآية: ﴿ **أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالاَمْرُ** ... ﴾، فتوجّه إليه بحلته الجميلة؛ ليقول له: هو كما أسررت في نفسك ﴿ **أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالاَمْرُ تَبَارَكَ الله رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ الأعراف :٥٤، هكذا هو، وكل فعل من أفعاله : تبارك الله، قلت لذلك الواقف في زقاق التّاريخ، هل شاهدت النقيّ يمرُّ من هنا، قال : وكيف لا ؟ بل لاحظت أيضًا أغبرتهم تتراجع القهقرى، ولما أن تطاولتْ وهمّت به وجدوه هو هو، كما كان وكأن الغبار في قباله، شيء من اللاشيء، فكلما زاد النّقاء ضعف التأثر بالبلاء ولم يتأثر بعساكر الكدر . أقول كيف بي وأنا الذي تفاعلتُ مع الكدر منذ سنين وحتى الحين وليس ببعيد إلى حين .

انصرفت إلى زقاق الراوندي، سألته هل مرّ بك النقيّ، فأجاب كان هنا قبل قليل وبرفقته الرّبيع الجميل، يسعى في خطاه، ليترجم

أنّه لا يكون الضّوء من دون مصدر، ولا يكون الشّجر من دون ضوء، ولتدرك الأشجار الفضل العظيم للشمس عليها، وعندما تتساقط أوراقها فهذا لا يعني أنّ الضّوء خذلها، بل هذا عائد إلى أنّها لم تعد متناغمة مع رشحاته، وهذا مثل ما حدث معه تمامًا، سجنوا أباه لأنّه كان متهمًا بجريمة الاستقامة، ثم ثبتت عليه هذه التّهمة، فقاموا بتصفيته مسمومًا، راع هذا الخطب ذلك الفتى النقيّ؛ فأمام عينيه يؤخذ أعزّ إنسان، وأمام عينيه قُتل الكثير من أبناء عمومته وأقاربه، وأحزنه كثيرًا، أنّ الموالين قليلون جدًّا، فالضّوء لا تستكين إليه الخفافيش على العكس من الظّلام، فهو يجري في عروق المناوئين، أولئك المناوئون يملكون العدّة والعدد، وهم أناس يرون أقرب جزاء لمن يخالف نهجهم الأعوج أنْ يسقوه بالسمّ الزعاف ثم يتباكون عليه، فقد درسوا في الخفاء فنّ الجريمة، ليقوموا بدور القاتل والمقتول.

لاذ ذلك الفتى إلى الصمت والصبر والاحتساب عند الله، فهو يدرك أنّ الدور سيجيء عليه فله بأبيه أسوة، فمن شيمهم المبدئيّة أنّه لا بدّ أنْ يشرب بالكأس الذي شرب منه أبوه، ومن هنا كان دأبهم التّخطيط للتمهيد الى يوم الخلاص لكن الأمر لا يحتاج الى عجلة، فالجريمة فن يحتاج إلى وقت وإلى شيء من التمثيل من أجل ابعاد التّهمة.

سلكت أزقّة كثيرة زقاق المفيد وزقاق الطبري وزقاق ابن

شهر آشوب ...، كل هذا وأنا أبحث بلهفة، اجتمعت الأزقّة على أنّ المجتمع قد عاش ما بين سيادتين، سيادة الضّمير وسيادة الأموال والسلطة، فزهَد بسيادة الأول وانصرف المجتمع الى الثاني، وعلّل تصرفه هذا أنّ المملكة لا تحكمها سيادتان، فراح يعزف بعود ليس فيه وتر.

سقطت صروح للجمال واحترقت أشجار للكرامة، وصاحبنا النقي يمضي حاملًا في يديه الماء رغبة في إنجاد ما يمكن انجاده، يمضي والنور يشعّ بين يديه، والحكمة تتفجر منه، زاره أحد النصارى، ليقدّم له خدمة الفصادة، ولكن ذلك الفتى النقيّ دلّه على شريان لم يكن يعلمه ذلك الفاصد، وفوقها أعطاه مبلغًا كبيرًا من المال، فعاد النصراني مدهوشًا من علم ومن كرم ومن خلق طيب، فحدّث أستاذه واسمه الراهب «بختيشوع» بما رأى فحار أستاذه، وطلب منه أن يذهب لأفضل طبيب في عصره وهو راهب دير العاقول، وما أنْ وصل الخبر لذلك الراهب وسمع بأمر ذلك الشريان المخفي، أصاب ذلك الراهب ذهولٌ، فهو يعلم أنّ ثمة شريانًا لا يعرفه إلاّ نبي أو ولي، وهذا الشريان نفسه الذي عرفه فيما سبق نبي الله عيسى، وهو نفسه الذي عرفه ذلك الفتى النقي بحسب الوصف، لكن ما الذي حدث ؟.

سارع ذلك الراهب -راهب دير العاقول- للقاء الولي، وصل إليه

ليلًا، ومكث عنده حتى الصّباح فخرج وقد خلع ثياب الرّهبانية، ولبس ثيابًا بيضًا وأعلن إسلامه، ولما أن سألوه عن ذلك قال لهم لقيت المسيح، ليصل ذلك الخبر الى القصر فيأخذ ساكنيه بالصداع، ورافق ذلك الخبر أخبار مماثلة أخرى، ليتنامى الصداع، حتى كادوا كيدتهم فطلبوا من الفتى النقيّ أن يأتيهم في أوقات معينة، وعليه أنْ يمتثل، كي يطلعوا عليه من كثب، أو ليثبتوا أنّه صاحبهم ومن هواة بلاطهم، فتنفر الناس منه، فكان يأتيهم الى قصر الخلافة في كل يوم اثنين وخميس. وكانت المفاجأة أن الناس بدأت تزدحم على الطريق من أجل التشرّف بنوره، كلهم ضائعون مثلي يريدونه لأجل خلاصهم، فهذا سر من رأى يمشي في سر من رأى . حتى أصبح الشارع يغص بالدواب والحمير والبغال، فلا يوجد لأحد موضع يمشي ولا يدخل بينهم، فكان الاثنين والخميس يومي الحزن للخليفة، الذي كان يكتم حزنه ببسمة متكلفة وبتصنع يكاد يفلت زمام القيادة، فيضيع الطريق .

فهذا نصراني يسلم على يديه وهؤلاء ناس تتسارع بين يديه، وهذا ... وذاك ... وأنا ... والبقية تأتي، فمن سيصفق للخليفة، مضيت أمشي في الأزقّة وكل زقاق يخبرك بعجائبه ومناقبه .

توجهت الى الشارع الكبير، جلست على حافة الرّصيف، رأيت الشوك يقتلع الرصيف، ليحلق غراب الحسد من قصر الخليفة،

جاء الأمر بزج الفتى النقي بالسجن، وبالتضييق عليه، امتثل السّجان الذي يدعى علي بن نارمش وكان قاسيًا جائرًا، وطلب منه أن يزيد بالبلاء على ذلك السجين، فكان هذا الطّلب لديه بمنزلة الإكرام؛ لأنه يحب أنْ يمارس هوايته، ولكن ما إنْ صعق بنور سجينه وبحسن فعاله بدأ يقطف من نعيم فعاله ويتزكّى بأريج كلامه، فما مضى إلاّ يوم واحد وإذا بذلك القاسي يخرج من ثوب قساوته فيضع خدّيه للنقي، وكان لا يرفع بصره إليه إجلالاً وإعظامًا، فخرج من عنده وهو أحسن الناس بصيرةً وأحسنهم فيه قولا .

وتصل الانباء الى القصر فيتزلزل البلاط من تحت أقدام الخليفة، فيدبّر حيلة أعتى من سابقتها، حيث الأمل بسجن صالح بن وصيف، فيلبي ذلك السجّان دعوتهم ويختار اثنين من شياطينه ليعذبا ذلك النقي وليذيقاه مرارة الموت وهو حي، فإذا بهما مع مرور السّاعات يأتيهما ابن وصيف فيلقاهما وقد رميا ثوب الشيطانية ولبسا ثوب الملائكية، يتعبدان ويتضرعان، فيصرخ بهما : ويحكما ما شأنكما في أمر هذا الرجل؟ ليقولا له : ما نقول في رجل يصوم النهار ويقوم الليل كله، لا يتكلّم ولا يتشاغل بغير العبادة، فإذا نظر إلينا ارتعدت فرائصنا، وداخلنا ما لا نملكه من أنفسنا.

صاعقة تتجدد في القصر، أدت الى هيجان ذلك الغراب، بقي الأمر

باللجوء الى الداهية نحرير، تلقف ذلك السجان هذه المهمة برحابة صدر، راح يطبق فنونه في التعذيب، نصحته زوجته ؟ ماذا تفعل؟ أنت أمام إنسان صالح وعابد، أخاف عليك منه، استهزأ ذلك الفاجر، وأقسم أنْ يرميه للأُسُود، فهو جاء بها لأجل أن يمارس بها ساديّته، من أجل افتراس السجناء الخطرين، أليس ذلك النقي خطر جدًّا، فهو يسعى إلى إنقاذ الكون منهم، انقاذ الكون من التلوث، يريد أن ينشر النقاء في مساحات أكبر وأكبر، لذا بادر السجّان نحرير بسجينه الى الأُسُود، تركه عندها، مضى الوقت، لا بدّ أنّها سوف تأكله جميعه ولا تبقي على شيء منه، جاؤوا بعدها ليتمتعوا بمنظر الافتراس، فوجدوه قائمًا يصلي، والأسُود حوله، ليتجدد الحزن هناك، وليبحثوا عن كيد آخر، فالأمر لم يعد يطاق .

جاءهم هذه المرةّ شخص لهم به صحبة لم يشُبْها انقطاع او فتور، وكنيته أبو مُرّة، فطلب منهم الصبر والاستمرار فللنقي ساعة يُحجَبُ عنه إدراك ما يضمرون، فراحوا يجدّون بما بدؤوا، ينظرون الى غريمهم وحيدًا، فهو آخر العنقود الذي سيُقطع وسينتهي ذلك الكابوس الذي أفزع الآباء وأشغل الأبناء، حتى كان ذلك اليوم الذي أفرح الابن الحاقد الأكبر يوم وصل إليه وصول السم إلى أحشاء الفتى النقي، وكأنّ حاله، يقول ليت أشياخي شهدوا جزع الفتى ونهاية السّلسلة المسبوكة من

ذهب، التي صعب عليهم قطعها، وصلت الى ذلك النقي، كان السم يسري في احشائه كنت أتمنى أن أراه قبل ذلك، أن أجلس إليه كما جلس إليه أصحابه النيسابوري وابو الاديان وابو علي المطهر وابن خاقان ...، التفتَ اليّ أوصاني، عليك به وستجد نفسك كما أردت، فارق الحياة، دَبَّ هاجس القلق من جديد، لكن عليَّ أن استمر فالأمل ما زال موجودًا .

نظرت الى ذلك الحاقد، بدأت البشرى تدبّ في أعماقه، نعم أليس هو المعتمد، فكان عليه الاعتماد في تحقيق منى الأجداد، ليس هذا فحسب فقد قام بعمل عظيم، فليس هناك أمل لذلك الأمل المأمول في نهاية حكومات الجائرين.

لم يبق إلّا المبادرة للقيام بدور صاحب المصاب على ذلك الفتى النقيّ، كلف أخاه المدعو جعفر أن ينهض للصلاة على أخيه، أصاب الأسى بعض الأصحاب أن يكون هذا آخر المطاف بصلاة شخص غير مؤهل اسمه جعفر على النقي المعصوم، هل عاشوا عصر الفتنة بأوج ما تكون الفتنة، بيد أنّ هناك بعض الأصحاب كانوا يعلمون بشيء، ويتوقعون حدوث ما غاب عن الاخرين، لقد رأيت الأمل يشعّ من وجوههم، اقترب وقت الصلاة، اصطفّ الجميع، تقدّم جعفر للصلاة، لم أفكر بالتقدّم، ما هي إلّا لحظات وإذا بصبي نقيّ صغير من نور، يتقدم سريعًا، طالبًا من عمه أنْ يتنحى، أدى الصلاة

وأتمّها، نظروا إليه، هذا صورة عن أبيه، كيف غاب عنهم، هل كانوا يراقبون مكانا آخر ؟ تتجدد الصواعق، بدأ غضب المعتمد يستشيط، وبدأت ثقته تضعف بمن حوله، هل خانوه أم أنّ يد السماء قامت بإخفائه ! أم إنه ذلك الفتى النقيّ بُعث من جديد بصورة أخرى، صرخ بأصحابه أنْ يجدوا ذلك النقيّ الصّغير، راحوا يبحثون في كلّ شبر، داهموا بيت النقي الأب، نعم كان ابنه هناك، بحثوا بدقة، مرَّ من أمامهم، رأيته وهو يخرج بلا وجل، شاهت العيون كما شاهت عيون القرشيين يوم خرج النبي من مكة الى المدينة، لكن هذه المرة خروج ذلك النقي الصّغير إلى مكان غير معلوم، بيد أنّه ما يزال يمدُّ الدّنيا بنقائه وبضيائه، وها هي قامات النخيل شامخة، تريد من الاتباع أن يتسلقوها، لينظروا قدومه، قدوم ابن النقيّ، عليهم أن يكون عسكرا لابن العسكري؛ ولأجدني بوجوده، ولكي يزف النشيد: طلع البدر علينا من ثنيّات العراق.

زارع الورد

القصة الفائزة بالمركز الرابع

للكاتب أحمد كاظم خضيـر

- العراق -

(١)

- أعتذر، لدي عمل طوال الأسبوع.

وأغلق الهاتف

- لماذا ترفض الذهاب يا محمد؟ هذه فرصة عمل ممتازة

- لأن لدي عمل!

- أنت عامل بلدية وبلا أجرة حتى !

- ولي الشرف بذلك، ولا تنسَ أني تركت الوظيفة بإرادتي واخترت العمل في المشتل.

أكمل شايه عند البسطة الصغيرة وركب (الستوتة) الحمراء التي تحمل شتلات الورد وبعض الأنواع الأخرى من الشجيرات، وتهادى في الشارع المؤدي الى مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام.

تنفس الصعداء حالما لاحت له القبة الذهبية، تذكر ذلك اليوم المشؤوم قبل سبعة عشر عاماً عندما استيقظ من النوم على صرخات أخته الكبرى وسط تسمّر العائلة كلها أمام صورة القبة المهدّمة في شاشة التلفاز، وكيف كان خائر التفكير والقوى، لا يعي ولا يدري ماذا يفعل ..

(٢)

كان يصرّ على زراعة الورود على جانبي الطريق ولم يمنعه كلام الآخرين بأن هذا الورد سيموت لعدم ملائمة الأجواء له، هذا الطريق الذي طالما عبر عليه مع الجنود في السيارات العسكرية وكيف كان يعترض على زملائه عندما كانوا يقولون انهم جاءوا لحماية مرقد الامامين العسكريين عليهما السلام، كان يقول لهم العكس، نحن هنا بحمايتهم وليس لحمايتهم ..

عاد إليه رشده بعد هذه الذكريات، وشرع بإنزال الشتلات من (الستوتة) مع المجرفة و (جلكان) الماء، كان قد توقف عند آخر شتلة زرعها بالأمس

- هذه شجرة (محمد بُشّي) سأزرعها قرب شجرة والده (لعيبي) وهذه شجرة (صالح) مكانها قرب شجرة (شيخ جبار) لأنّهما من نفس القرية، هذه الأشجار ستظلل الورود وتحميها.

بدأ بالحفر والزرع والسقي وحده، حتى انتصف النهار وأتمّ عمله، أخرج من جيبه المُترب قائمة أسماء وبعلامة (صح) صغيرة أشار أمام بعض الاسماء فلم يكن يشطبها ..

ركب (ستوتته) الحمراء بملابسه المتربة وقبعته التي وضع تحتها قطعة قماش، وابتعد في الطريق وقول (ما من بلية إلا ولله فيها نعمة تحيط بها) الذي كتبه على بابها الخلفي يتلاشى في الاسفلت شيئاً فشيئاً ..

(٣)

- «وكان هذا موقف الإمام الحسن العسكري من ثورة الزنج»

رنت بأذنيه هذه العبارة من مكبرات الصوت في الصحن العسكري، وكان مجلساً حسينياً هناك قد وصله متأخراً، جلس عند الأحذية كعادته، عينه على المنارة وأذنه عند الخطيب، وحالما انقضى المجلس ذهب الى المكتبة هناك وبدأ يبحث عن ما قاله الخطيب وعن أحداث سنة ٢٥٥ هـ.

وكيف كان للإمام الحسن العسكري عليه السلام دورٌ لحفظ غصون الزيتون من الانكسار بوجه رياح الفتن.

أعاد النظر إلى القبة الشامخة وكيف حفظت وجمعت من حولها على اختلافهم طوال مئات السنين، سرعان ما عادت اليه صورة القبة المتهدمة، كان المشهدان يعرضان أمامه بسرعة وبالتناوب وكأن مونتاجاً خفياً في عينه يوازن بين الهَدم والسِّلم .

أكمل الزيارة وعاد إلى منزله الذي استأجره منذ سنوات ليكون قريباً من عمله، عمله الذي اتخذه لنفسه (زارع الورد)، وعلى صوت الستوتة خرجتا لاستقباله طفلتاه الصغيرتان (منارة) و(ورد)، ركنها في الباب، وقبّل طفلتيه وحمل ورد الصغيرة ودخلوا للبيت، وكان كل الجيران قد اعتادوا روتينه اليومي، حتى أن جاره (أبو خالد) كان

يمازحه أحياناً عندما يعود قبل الغروب ويقول له:

- أنت تعود بوقت أذاننا، مطلوب ربع ساعة .

فيبتسمان في الزقاق أو يبتسم الزقاق بهما ..

(٤)

كانت هذه فكرة (صالح) بأن يزرع أشجاراً بأسماء الشهداء، كان يقول: إن الدماء الحمراء ستعبّد طريقاً أخضرَ لجميع السالكين.

صالح الذي زرع له هذا اليوم شجرةً باسمه!

صالح الذي طالما كان حنوناً حتى مع الأعداء، كان يسقي أسرى الدواعش الماء بيديه ويشير إلى قبة الإمام الحسن العسكري عليه السلام ويقول: كل عسكري منا لابد أن يقتدي بهذا العسكري.

وكان يقول: إن وجود إمامين هنا هو دعوة للتعايش والامتزاج بين أبناء البلد الواحد.

كما كانت عبارات صالح تتردد في رأسه، كانت طيوف صالح تدغدغ كآبة ليلهِ، وكأنه يؤكد ويوصي محمد على إتمام فكرته، ذات حلم رأى صالح يتحول الى تراب وينتشر في الهواء ويغطي الجدران والأبواب، ومرةً رآه يتكئ الى جانبه في الستوتة ويبتسم طوال الطريق ..

(٥)

كانت الشتلات على جانبي الطريق بدأت برسم ملامح له، وكأنها تحديد للوحة باللون الأخضر، كان يقف عندها بعض السائقين ويسقونها بما تيسر من ماء، ومحمد يواصل عمله اليومي بزراعة الورد والأشجار، إلى أن عاوده الألم من إصابته القديمة، ويبدو أن عمله أثار مكان الشظية في ساقه، أخبره الطبيب أن لا يجهد نفسه، فلازم البيت طوال اسبوعين، وكل تفكيره عند شتلاته على جانبي الطريق، حالما تحسنت حاله قليلاً، ملأ الستوتة بالماء وهو آيس من حياة زرعه على الطريق، لكن دفعه الإصرار لإكمال ما بدأ به، انطلق نحو الشارع المؤدي الى مرقد الإمامين العسكريين عليهما السلام وبرأسه تزدحم صور الورد و الشهداء و القبة، ومن بعيد لاحظ شيئاً غريباً على جانبي الطريق، اقترب اكثر فوجد بشراً مكان الشتلات !

- يا إلهي هل هذه طيوف صالح أيضاً ؟

اقترب أكثر وإذا بالناس هناك على جانبي الطريق هم جيرانه، و(أبو خالد) في مقدمتهم وكانوا قد تعهدوا بإكمال زراعة وسقي ورعاية الورد والاشجار في الطريق أثناء غيابه .

(٦)

صالح ينظر من بعيد، يرى امتزاج الورد والناس على جانبي الطريق، وبنهايته تلمع القبة الذهبية، فيعيش مرتين بعد موته.

عصابة الوصال

القصة الفائزة بالمركز الخامس

للكاتب عبد العزيز بن ثابت

- الجزائر -

إن شاء الله سأوصلها لها

كان ذلك وعدا أخذته المرأة العجوز من عثمان بن سعيد السّمان الذي كانت ترتاد دكانه الذي كان يبيع فيه السمن كلما حز بها أمر تحتاج فيه إلى مراجعة الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام أو كلما وردها خبر من قصر الخلافة تجد ضرورة في أن يعلمه الإمام.

لقد ألقى عثمان بن سعيد في أذنها أنه يشك في ذهاب الإمام عليه السلام اليوم إلى قصر الخلافة نظرا لما ألم به من مرض و لذلك السبب أعطته عصابتها كي يرجعها إليها بعد ما أن يمسح بها أهل الإمام عليه السلام وجهه لتتبرك بها خوفا منها أن يفارق الإمام الحياة و ليس لها أثر منه تبقيه لديها بعد رحيله عن الدنيا.

كان هذا يوم الإثنين الذي يمر فيه موكب الإمام الحسن عليه السلام إلى قصر الخليفة كما اعتاد كل يومي اثنين و خميس ليحضر مجلس الخليفة المعتمد على الله، و كان خروجه ذاك إلى قصر الخليفة هو الفرصة الوحيدة للموالين كي يروه و ينظروا إليه منذ قرر الإحتجاب عن الناس. لقد تعودت مثل كثير من الموالين على انتظار موكبه ليتبركوا برؤيته، لكن اليوم تأخر الموكب المنتظر و أوشكت الشمس أن تزول و بدأت الحرارة ترتفع حتى أن كثيرا من المنتظرين مثلها لموكب الإمام عليه السلام قد بدأوا ينصرفون، أمّا هي و آخرين ممّن لم يهن عليهم التفريط في التبرك بمرآى

الإمام و هو يعبر أمامهم في موكبه الجليل، آثروا مواصلة الانتظار رغم أنها كانت شبه متيقنة أن المرض لن يسمح له اليوم بالخروج و آثر لها فؤادها المحب أن ترجح قليل الأمل في خروجه على كثير اليقين في عدمه و أنىّ لقلب المحب أن يرضخ لحجة العقل مهما كانت دامغة.

اقترب موعد صلاة الظهرين و كان عليها أن تتوجه إلى بيتها لتتهيأ للصلاة و أن تعد ما طلبته منها نساء قصر الخليفة من عطور و عقاقير و أدوات الزينة التي يتاجر فيها زوجها طاهر العطار . إنّها اليوم أشد إصرارا على الذهاب إلى قصر الخلافة لكي تستقي من هناك أخبار القصر و تستطلع كيف تلقّف الخليفة و حاشيته أخبار مرض الإمام عليه السلام، لأنها كانت تعرف أن عيون الخليفة المنتشرين حول الإمام عليه السلام لا يتركون شاردة أو واردة من اخبار الإمام عليه السلام إلا وأخبروا بها الخليفة و أعوانه .

لقد تعلمت من تجربتها الطويلة في التجارة مع نساء القصر أن معظم ما يرد القصر من أخبار لابد و أن يتسرب إلى جل من في القصر وحتى إلى بعض رواده، فبمجرد ورود خبر ما، حتى تتلقفه آذان ساكني القصر من أمراء و قادة و خدم و عبيد و إماء، و بحكم اقترابها من نساء القصر عبر تجارة العطور و أدوات الزينة، فإن الإمام الحسن بن علي الهادي عليهما السلام قد كلفها بأن تكون عينه على قصر الخلافة و أن تأتيه بأخباره ما استطاعت إلى ذلك سبيلا كما كانت تفعله من قبل

مع أبيه الإمام علي الهادي عليه السلام.

أدت صلاة الظهرين و تناولت مع زوجها طاهر العطار طعام الغداء، لكنهما اليوم لم يشأ لهما قلقهما على الإمام عليه السلام أن تنعم عيناهما بغفوة القيلولة التي اعتادا عليها و ضلا مستلقيين في قبو الدار بلا نوم و لا كلام و كلاهما يدير في ذهنه ذكريات من مواقف كانت له مع الإمام الحسن عليه السلام.

بمجرد ما مالت الشمس نحو الأصيل منبهة المرأة العجوز إلى موعد زيارة قصر الخلافة، شرعت في وضع قناني العطور و غيرها من أدوات الزينة التي أوصتها بها نساء القصر في الجراب المخصص لذلك ثم توشحت عباءتها و اتجهت إلى قصر الخلافة.

بعدما انتقت نسوة القصر ما راق لهن مما حملته إليهن من عطور الهند و اليمن قالت لها كبيرة وصيفات القصر و كانت تربطها بالمرأة العجوز علاقة طيبة لطول مدة معرفتهما ببعضما البعض حتى أنها لم تكن تخفي عليها مودتها للإمامين العسكريين عليهما السلام:

ليس بالإمكان أن تاخذي اليوم أجرة ما اقتنيناه منك.

و ما الذي طرأ اليوم حتى يتأجل قبضي لثمن ما بعتكن؟

إن صاحب بيت مال الخليفة اليوم في دار الإمام الحسن بن علي عليهما السلام قد أوفده مولاي الخليفة ظهر اليوم صحبة أطباء القصر للنظر في حاجاته

بعدما اشتدت عليه العلة و المرض.

إنه لذوا حظوة لدى الخليفة.

ربما لأنه يدين له بطول مكثه على كرسي الخلافة؛ فقد طلب منه الدعاء له بذلك ...إنه لا يزال حيا يعتلي كرسي الخلافة منذ ستة أعوام و كان الخلفاء قبله قلما يدور عليهم الحول و لا يلقون حتفهم مقتولين.

اقتربت من أذن الوصيفة و همست فيها:

– و لكن الناس يتعجبون من هذه العلة التي أقعدت الإمام الفراش و هو شاب جلد في الثامنة و العشرين من عمره

اقتربت الوصيفة بدورها منها و همست لها:

– قوارير السم تباع و تشترى في سر من رأى ربما أكثر من قوارير عطورك ...كثيرون هم في دولة بني العباس من يكيدون لبني أبي طالب و يتربصون بهم.

– أهو السم إذن؟

– وأي مرض يقعد الشاب الجلد الفراش و يعجز عن مداواته الأطباء المهرة؟

خرجت المرأة العجوز هذه المرة من القصر جزعة مهمومة لما عساه أن يؤول إليه مرض الإمام الذي تأكدت الآن من شدته و عسر برئه وطيلة مدة الطريق إلى بيتها وليس في ذهنها سوى وحشة الدنيا عليها

وعلى أهلها بعد أن يفارق الإمام الحسن بن علي عليهما السلام الحياة.

دخلت بيتها شاحبة الوجه تكاد لا تقف على قدميها، انتبه لحالها زوجها طاهر العطار الذي كان قد اتخذ له متكآ في فناء بيته و قال لها:

– لقد أتعبتك اليوم نساء القصر

– أبدا يا طاهر، بل أدهى من ذلك وأمرّ.

–اعتدل طاهر على متكئه في فناء داره و توجه اليها متسائلا:

– ما الذي أتعبك إذن؟

– لقد اشتد المرض بالإمام الحسن بن علي عليهما السلام.

– لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم، ما يكاد يمضي يوم إلا و أتوقع خبر شهادته روحي له الفداء، دأبه في ذلك دأب آبائه عليهم السلام الخليفة قد أمر كل أطباء القصر بالمكوث في دار الإمام لمداواته و العناية به

و أيضا لترصد أحواله عن قرب، فكل همهم الوصول إلى حقيقة خليفته المهدي عليه السلام ليستأصلوه قبل أن يقوض أركان ملكهم و الله متم نوره و لو كره الكافرون.

جلست قبالة زوجها و نظرت إليه و عيناها مغرورقة بالدموع قائلة:

– أعلم ان الموت حق و لكن ما يزيد من هول مصيبته هذه المرة أننا بفراق الإمام الحسن بن علي عليه السلام سينقطع عهدنا بمرآى وجوه أبناء فاطمة الزهراء عليها السلام.

حين سمع زوجها قولها ذاك أطرق برهة ريثما تذهب عنه غصة العبرة ثم قال لها:

– هذا ما كان يهيؤنا له مولانا الإمام الحسن بن علي عليه السلام منذ أمرنا أن ننقطع عن زيارته في داره و ان نقتصر على الإتصال به عبر الواسطة

أعرف ذلك، كان يريد منا أن نتعود على غيبة خليفته القائم عليه السلام، ولكن أنى للمريض أن يتعود على الألم...

لقد أنعم الله علينا بنعمة لقاء إمامين معصومين علي الهادي و ابنه الحسن عليهما السلام وهي نعمة قل من الخلق ان يحظى بها، وآن لنا أن نتهيأ للمحنة الكبرى..

محنة رحيلهم عنا دون عودة...

بل محنة غيبة آخرهم إلى حين ظهوره في آخر الزمان عليه السلام وروحي له الفداء

ذلك ما أخبرنا به الإمام عن آبائه عليهم السلام ولا لقاء إلى أن يأذن الله له في الظهور ليملأ الأرض قسطا و عدلا بعدما ملئت ظلما و جورا.

اللهم صل على محمد و آل محمد و عجل فرجهم.

حسبنا الله و نعم الوكيل ولولا أن غيبة الإمام من أمر الله لوددت أن لا أبصر شيئا بعد الحسن بن علي الهادي عليهما السلام.

بل اسألي الله ان ينعم عليك بنعمة النظر إليه كما أنعم عليك بنعمة النظر إلى أبويه.

فأجابت زوجها باكية:

أسأل الله بحق الإمام و بحق آبائه عليهم السلام أن أتشرف بذلك و لو لطرفة عين قبل أن أفارق الدنيا.

إن صدقت فسيصدقك و هو الصادق بن الصادقين عليهما السلام.

لم يكن من حديث للموالين إلا عن مرض الإمام الحسن بن علي عليهما السلام و كيف ستكون حالهم مع خليفته من بعده الذي أضحى خبر غيبته المحتومة لديهم عقيدة توارثوها جيلا بعد جيل منذ جيل صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جيلهم هذا الذي شاء الله له أن يكون آخر جيل ينعم بمقام الأئمة عليهم السلام بين ظهرانيه.

كان ظاهر الحال أمام غير الموالين أن ليس للإمام الحسن بن علي الهادي عليهما السلام عقبا، أما جمهور الموالين فكانوا يعرفون أن مسألة إخفاء خليفة الحسن بن علي الهادي عليهما السلام يتوقف عليها بقاء دين الله، إنه آخر الأئمة عليهم السلام وإذا اطلع عليه أهل الباطل و عرفوا طريقه فعلى دين الله السلام .

لم تمض بضعة أيام عن نبإ مرض الإمام عليه السلام حتى جاء ذلك اليوم الذي دخل عليها فيه زوجها ضحى في غير موعد عودته من الدكان، لتوها قرأت في وجهه المنقبض و عينيه الدامعتين الخبر، لقد حدثت الفاجعة، لقد أسلم الإمام الحسن بن علي عليهما السلام الروح إلى بارئها ...

نظرت إلى زوجها بعينين مغرورقتين بالدموع و شفتاها المرتجفتين

تـرددان دون انقطـاع :

إنا لله وإنا إليه راجعون، عظم الله أجرك يا فاطمة الزهراء

ثم ارتدت عباءتها و خرجت للعزاء قاصدة دار الإمام عليه السلام.

لقـد كانـت تبـذل جهـدا كـبيرا لتشـق طريقهـا بين جمـوع الوافديـن الى سر مـن رأى، فلقـد امـتلأت الـدروب بالنـاس حتـى غـدت سر مـن رأى رقعـة دكنـاء لما اكتسـحها مـن سـواد ثيـاب المعزيـن، و رغـم شـدة الزحـام لم تفقـد تلـك العجـوز الأمـل في بلـوغ دار إمامهـا و مـا على شـفتيها سـوى الدعـاء لـه عليه السلام.

كان كل أملهـا في تلـك اللحظـات أن تصل إلى الدار و حالها حال الجحافل التي تؤم دار الإمـام و مناهـم كلهـم أن يلمسـوا بأيديهـم تبركا نعـش الإمـام أوعلى الأقـل أن يرمقـوا نعشـه الطاهـر بمقلهـم الذارفة للدمـوع أنهارا.

لقـد كانـت تحـث السـير وقلبهـا يتفطـر ألماً أن لا تكـون جـوار سـيدتيها أم الإمـام و زوجتـه لتقاسمهـا وطـأة الـرزء و ثقـل مصيبـة فـراق الإمـام و لكـن كلما خطـت خطـوة إلى الأمـام دفعتهـا الجمـوع خطـوات إلى الـوراء و لم تلبـث كـثيرا بعـد أن وجـدت نفسـها أمـام سـد منيـع مـن النـاس لا يمكـن تجـاوزه حتـى سـمعت نـداء امـرأة تدعوهـا :

– هلمي يا عمه، أنا على يسارك، استديري إلي، لست بعيدة عنك

فالتفتـت نحـو اليسـار لترى امـرأة متوسـطة العمـر تقـف على بـاب دارها،

فلما علمت صاحبة الدار أن العجوز قد أبصرتها، أردفت قائلة:

– تعالي، ادخلي بيتي لتستريحي قليلا، لا سبيل لك للنفوذ بين هذه الجموع ...

ما كادت العجوز تبرز إلى فناء الدار إذ جاءتها فتاة يافعة بإناء ماء لتشرب منه و لما مدت بدها لتأخذ الإناء من الفتاة، حتى انقضت على يد العجوز لتقبلها ولما حاولت العجوز سحب يدها احتضنتها الفتاة معانقة إياها باكية و كأن لها بها سابق معرفة.

– أنا التي أبصرتك من على سطح الدار فهرعت إلى صاحبة الدار لتدخلك...أما عرفتني يا عمة؟

تأملت العجوز وجه الفتاة مليا لتدرك أن ملامح الوجه ليست بالغريبة عليها و قالت لها:

– و كأني لي بوجهك الفة

– لكم كان لي حجرك سريرا في بيت مولاتي حينما كنت تأتين عندها

– و من هي مولاتك؟

– السيدة نرجس

حينها اغرورقت عيني العجوز بالدموع و قالت:

– أنت من بيت سيدي و مولاي الحسن العسكري عليه السلام؟

– نعم انا من ذلك البيت و لقد صرفتنا مولاتي نرجس خشية علينا

أن يصيبنا رجال الخليفة المعتمد بمكروه لو حاولوا دخول دار مولاي الحسن عليه السلام ففرقتنا على بيوت الموالين لمولاي الامام صلوات الله و سلامه عليه من سكان المحلة.

– و ما عساهم يفعلون في دار قد أسلم صاحبها الروح؟

– كل ضالتهم الظفر بخليفة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام.

– حسنا فعلت مولاتنا، كل بني العباس و حاشيتهم يعرفون أن الله لن يقبض روح مولاي الحسن بن علي عليهما السلام إلا وخليفته المهدي صلوات الله و سلامه عليه موجود وسيخلفه فور رحيله.

– و هي اللحظة التي يتحينها أعداؤه للإنقضاض عليه روحي له الفداء

– أي بنية، هل من سبيل إلى بلوغ بيت الإمام عبر السطوح؟ فلا سلوى لي عما أصابني سوى بلوغي دار الإمام لتعزية سيدتي ومولاتي زوجته السيدة نرجس عليها السلام...اذهبي إلى صاحبة البيت واستأذنيها في ذلك...

هرعت الفتاة إلى صاحبة البيت و حدثتها لبرهة ثم اقبلتا كلتيهما نحو العجوز، و لما أصبحتا قبالتها قالت لها صاحبة الدار:

– لقد و صلت عندي بعض نساء دار الإمام عليه السلام عبر طريق السطوح وتحدثت في أمرك معهن و لقد زكينك جميعهن و قلن لي أنك من خاصتهن

– بارك الله فيك، أحمد الله على نعمة الولاية لآل بيت المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آل بيته.

– لذلك لا أرى ضيرا في أن أدلك على الطريق من سطح بيتي إلى سطح دار الإمام عليه السلام.

– مأجورة إن شاء الله.

– اتبعيني إذن.

تسلقت العجوز السلم المؤدي إلى السطح في صحبة صاحبة الدار و حين وصلتا إلى السطح أدركت المرأة العجوز أن كثيرات غيرها آثرن المضي إلى دار الإمام عبر السطوح بدل الدروب والأزقة عساهن يتحاشين زحمة جموع المعزين حتى يتسنى لهن الوصول إلى دار الإمام عليه السلام لتعزية أهله وإن لم يتسنى لهن ذلك استطعن التبرك بالنظر إلى نعش الإمام عليه السلام من على سطوح البيوت.

شكرت العجوز صاحبة الدار على صنيعها وأخذت في المسير إلى دار الإمام عليه السلام مجتازة الجدر التي تفصل بين سطوح البيوت وكانت جدران قصيرة بنحو نصف قامة المرأة العجوز و كان طولها ذاك يسمح للجارات بلقاء بعضهن البعض دون حاجة إلى تسلق الجدر او اجتيازها مع العلم أنه كان محرما على كل الرجال ارتياد السطوح.

لقد كانت حال السطوح كحال الطريق، كل الدائرة المحيطة بدار الإمام عليه السلام قد امتلأت بالمعزيات ولا سبيل إلى التقدم إلى الأمام، فأدركت أنها تحاول عبثا فنظرت من حولها عساها ان تجد مكانا تستريح فيه لتستعيد قواها حتى تستطيع أن تعاود الكرة وتحاول

النفـوذ إلى دار الإمـام عليه السلام مجـددا.

اهتـدت إلى سـطح دار تشرف على زقـاق ضيـق و لبعـد سـطح تلـك الـدار عـن الجادة المؤديـة إلى دار الإمـام عليه السلام والتـي مـن المـفترض أن يمـرّ عبرهـا نعشـه الشريـف، فقـد كان ذلـك السـطح خاليـا مـن أيـة امـرأة فاتجهـت إليـه وآوت إلى أحـد أركانـه و أسـندت ظهرهـا إلى أحـد جـدران السـطح وأطلقـت لعبراتهـا العنـان.

لقـد انتحبـت نحيبـا حـارا لأنّهـا لما يئسـت مـن الوصـول إلى الـدار و انـزاح عنهـا مـا كان يشـغل بـالها مـن إيجـاد الحيلـة لبلـوغ دار الإمـام، وجدت نفسـها وجهـا لوجـه أمـام مصيبتيهـا: مصيبتها بفقد الإمام الحسـن بـن علي الهادي عليهما السلام ومصيبتهـا بانتهـاء عهدهـا بالنظـر إلى وجـوه المعصـومين عليهم السلام.

لقـد كانـت رزّيتهـا بمـوت الإمـام الحسـن بـن علي عليهما السلام محنـة شـديدة ولكـن محنتهـا بانقطـاع عهـد النـاس بلقـاء أبنـاء فاطمـة الزهـراء عليها السلام، كانـت محنـة أكبر لا سـلوى لها عنهـا إلا رجاؤهـا في الله أن يعجّـل الظهـور المبـارك لوليـه الإمـام المهـدي عليه السلام.

ومـن خلال صـوت شـهقاتها المتقطعـة، نفـذ إلى مسـمعها صـوت أحـد الفتيـان يناديهـا :

يا عمة، يا عمة...

استدارت يميناً و يساراً تبحث عن مصدر الصوت الذي لم يكن يأتي

من السطح، ثم نهضت و ابتعدت عن الركن الذي آوت إليه و تطلعّت بنظرها في فناء الدار التي كانت على سطحها فلم تجد أحدا ... انطلق الصوت ثانية مناديا إياها:

يا عمة انظري إلى الزقاق الذي خلف الدار...

لقد غلب صوت ذلك النداء على كل ما سواه من أصوات، فبمجرد انطلاق ذلك النداء، عم المكان سكون عجيب فلا صوت مسموع إلا صوت ذلك الفتى...اسرعت نحو الجدار الطويل الذي كان امتدادا لجدار الدار المطل على الزقاق وكان أطول من قامتها ولكن لحسن حظها كانت هناك مسطبة تستريح عليها نسوة الدار حين وجودهن على السطح ولو استقلتها فسيمكنها رؤية من بالزقاق .

استقلت المرأة العجوز المسطبة ومدت بصرها نحو الزقاق لترى في وسطه فتى يافعا، وقورا، حسن الهيئة، ينظر إليها ويقول:

هذه عصابتك يا عمة قد مسحت بها مولاتك نرجس على وجه الإمام الحسن العسكري عليه السلام..

لم يكد يكمل قوله حتى أوقفته الغصة بالبكاء من أن يواصل الحديث و التقط من الأرض حجرا ولفه بالعصابة وقذف بهما نحو السطح، التقطت العجوز اللفافة من الأرض وألقت بالحجر جانبا وأمسكت بالعصابة وجثت على ركبتيها تمسح بها وجهها منتحبة

نحيب الثكلى المرمّلة التي فقدت أعزتها.

افتكتها عودة جلبة الناس وصخبهم وانقشاع ذلك الصمت العجيب الذي صاحب نداء الفتى من أنسها بالعصابة التي ألقاها إليها و انتبهت إلى أنها لم تشكر الفتى على صنيعه ولم تسأله كيف وصلت إليه العصابة، فهرعت نحو المسطبة وأطلت منها على الزقاق ولكن لا أثر للفتى الذي ألقى إليها بالعصابة.

هوت على المسطبة كالمغشي عليها وأخذت تسترجع صورة ذلك الفتى ذو الملامح المشرقة نورا وهيبة ووقارا رغم شبابه وصغر سنه والذي شغلها استرجاعها لعصابتها عن أن تسأله من يكون وكيف وصلت إليه عصابتها...

لم تستغرق في التفكير طويلا ليسترجع ذهنها ملامح الفتى فتدرك أن كل ما فيه يدل على أنه من أهل بيت الإمام الحسن العسكري عليه السلام ولكنها تعرفهم كلهم ولم يسبق لها أن أبصرت من قبل ذلك الفتى في بيت الإمام...فمن عساه يكون ذو الطلعة البهية والصوت الرخيم؟

وحين استجمعت أفكارها وكادت تتيقن من هوية الفتى، انتفضت واقفة واشرأبت نحو الزقاق منادية صارخة لمرات دون انقطاع بصوت اختلطت فيه الحسرة بالحزن:

السلام عليك يا سيدي ومولاي...السلام عليك في غيبتك وفي

حظـورك، روحـي لـك الفـداء يـا ابـن الأكـرمين...

وبعدمـا يئسـت مـن عـودة صاحـب الطلعـة البهيـة لتراه، نزلـت مـن المسـطبة وهـوت إلى الأرض سـاجدة و هـي تقـول:

– اللهـم لـك الحمـد على مـا حبيتني بـه مـن رؤيـة سـيدي ومـولاي، لـن يضرني فراقـه بعـد اليـوم ...

ثم اعتدلت جالسة ورفعت يديها داعية الله والشهقات تقطع كلماتها:

اللهـم عجّـل لوليـك الفرج...اللهـم عجّـل لوليـك الفرج...اللهـم عجّـل لوليـك الفرج...

عملية قلب مفتوح

القصة الفائزة بالمركز السادس

للكاتبة نسرين عبدو البدوي

- لبنان -

هنا أمام سرير ابنتي المريضة، في المستشفى أقرأ لأسلّي نفسي وأهرب من همّ يزحن صدري، أقلّب صفحات الكتاب فتأسرني القصة، يقول الراوي كانت عينا أحمد شاخصة نحو المدخل يترقّب بفضول ودهشة دخول هذا الذي كنّاه حجّاب والده الوزير ووقّروا اسمه، يترقّب رؤيته وهو الذي لم يسمع به من قبل فلو كان من أصحاب الجاه والمناصب لسمع به أو لعرفه، كيف لا وهو أحمد بن عبدالله بن خاقان عامل الخليفة على قرى وضيع كثيرة ووالده وزير السلطان، كان متعجباً من أمر أبيه الذي أعطى حجّابه الإذن أن يسمحوا له بالدّخول بعد أن علم منهم أنه بالباب وهو الذي يعرف أن لا رجل يكنّى في حضرة أبيه أو يلقّب بمكرمة إلا أن يكون السلطان قد أمر له بذلك أو يكون ولي عهد أو صاحب جاه.

ظلّت عيناه متسمرتان على المدخل فإذ بشاب جميل الوجه أسمر أدعج العينين حسن القامة معتدل البدن حديث السن يطلّ عند الباب، فيخامره استياء شديد ثم يغتاظ وتتسلل الغيرة إلى صدره حين يقوم والده الوزير فيمشي خطوات إلى الشاب يعانقه ويقبّل وجهه ومنكبيه ثم يأخذ بيده و يجلسه بجانبه، يفكّر أحمد بن خاقان كيف لشاب في مقتبل العمر أن يحظى بكل هذا التكريم من والدي! هو لم يقف لي لم يضمني لم يقبلني حين دخلت لأكون على رأس مجلسه هذا

الـذي أعـدّه للنـاس. أيّـة وجاهـة ينعـم بهـا هـذا الشـاب وأيّ وقـار بـل مـن هـو؟ مـن يكـون؟ تسـاءل أحمـد بـن خاقـان وقـد عـزم على اسـتقصاء أمـره ومعرفـة سرّه.

.. وإذ بدمـوع زوجتـي تقطـع تركيـزي، تسـتحلفني ببنتنـا الوحيـدة أن أسرع إلى الحفـل الـذي يقـام في المسـجد في هـذه السـاعة بمناسـبة ولادة الإمـام الحسـن العسـكري عليه السلام فقـط كـي أظفـر بذلـك الرجـل عسـى يمنحنـي المال اللازم لإجـراء عمليـة القلـب المفتـوح لابنتـي. تبكـي زوجتـي وهـي تحـاول أن تخـرج كلماتهـا العالقـة في قلبهـا، تذكّـرني بما قالـه الطبيـب (يجـب إجـراء العمليـة بـأقصى سرعـة) فـيما أحـاول عبثـاً أن أدفـع الهـمّ والغـمّ عنّـي. أشـعر أنّ الدنيـا ربضـت على صـدري.. لا أحتمـل أن أطلـب مـن أحـد مـالا فكيـف إذا كان غريبـا لا تربطنـي بـه صلـة لكـن لا بـدّ لي مـن فعـل هـذا فابنتـي بين الحيـاة والمـوت.

بالأمـس زيّنـت المسـجد بيـديّ هـاتين، ورفعـت الرايـات على أعمدتـه وجدرانـه، حضّرت للحفـل كما ينبغـي لاسـيما بعدمـا ذكّـرني الشـيخ وهـو يثنـي على جهـودي بالآيـة الكريمـة ﴿**ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾ الحج:٣٢ شـيخ المنطقـة هـذا ودود، قريـب مـن قلـوب جميـع سـكان الحـي يعرفهـم واحـدا واحـدا يسـتقصي أحوالهـم يدعـو لهـم بـالخير واليمـن والبركـة يفتقـد أحدهـم إذا غـاب ويسـأل عـن صغيرهـم

وكبيرهم، يعتني بالتفاصيل ويثني على الأعمال الصالحة مهما كانت صغيرة لقد أثنى عليّ ومدّ يد العون لي من حيث لا يحتسب، شيخنا هذا أعلمني البارحة أن الوزير شخصيا سيحضر المولد الليلة وأنا سررت لهذا الأمر ظننت أنه منحة من الله أن يحضر الوزير، ظننت أن الله يهبني فرصة لأطلب منه تكاليف عملية ابنتي في تلك اللحظة، لكن وبعد دقائق ذعرت للفكرة فكيف لي أنا عامل المسجد الفقير أن أتجرّأ فأطلب من وزير، ولمَ عليه أن يساعدني أو حتى يصدّقني!. أردت أن أفتح قلبي للشيخ وأخبره بهمّي لكن عزة نفسي منعتني لم أشأ أن أحمّله همّي وهمّ ابنتي، لم أشأ أن أعرّضه للحرج في أن يتوسّط لي عند الوزير. لكن الآن ماذا ينفع كل هذا، هاقد وصلت إلى المسجد، جئت من أجل ابنتي، الشيخ يخطب بالناس من على المنبر والجميع ينصتون حتى الوزير الجالس في الصف الأوّل كان يصغي لكلام الشيخ.. وكان الشيخ يعدد مآثر الإمام العسكري عليه السلام سمعته يتحدث عن قصة تلبيته حاجات الناس وقضائها حتى لوكانت حاجات أناس على غير دين. كان يقول بأن كاتب الخليفة أنوش النصراني طلب من الخليفة العباسي أن يرسل بطلب العسكري ليزوره في بيته حيث أراد أن يطهّر ابناه وأن يدعو العسكريّ لهما بالسلامة، فلم يمتنع الإمام بل لبّى طلب هذا النّصراني وعندما وصل رأى أنه قد جمع بعضا من

الرّهبان حوله واستقبلوه بإجلال وهم يقولون إنّما دعوناك لما رأينا فيك من شبه خلُق بالمسيح.

تقدّمتُ خطوات وعيني لا تفارق الصّف الأوّل. حيث يجلس نخبة النّاس، تقدّمت وابتسامة صفراء على وجهي، كنت أفكّر لمَ هناك دائما صفٌّ أوّل من الكراسي يجلس عليه من يسمَّون نخبة الناس من أصحاب المناصب السياسية والثقافية والعلمية كالوزير والطبيب والنائب وغيرهم، أفكّر كيف أعزّتهم علومهم ومناصبهم حتى جلسوا في الصفوف الأولى من المحافل، وإذ بي أجد نفسي قد اقتربت من الصف الأول حاذيت العمود الكبير الذي يليهم والذي علقت عليه البارحة راية مذهّبة بألقاب الامام الحسن العسكري فوجدت نفسي أمسح على ألقابه بيدي ثم أمسح وجهي تبرّكا ونفسي تحدثني بضرورة الانصراف، شعرت أنّي اذا فتحت قلبي لهذا الوزير وأخبرته بحالي فإني سأكون كمن يشحذ، أأبذل ماء وجهي!؟ أتردد.. يلوح لي وجه بنتي المريضة .. سوف أقترب منه وأقول له يا سعادة الوزير أيها السيد الكريم ابنتي بين الحياة والموت وأنا أرجو أن تساعدني لكرمك في دفع تكاليف عمليتها عملية القلب المفتوح..، خانتني العبرة سالت على خدي ولم أفلح في حبسها ستفضح أمري مسحتها بكم قميصي وأنا أناجي الإمام العسكري.. أقول له تقضي حوائج ذاك النصراني

وأنا ببابك من يقضي حاجتي؟ لم عليّ أن أبذل ماء وجهي بالطلب إلى غريب. تراجعت خطوة إلى الوراء وإذ بيد تربّت على كتفي نظرت وإذ بالشيخ وقد أنهى خطبته وعاد ليجلس في مكانه في الصّف الأول . جذبني بلطف وجلس بقرب الوزير وهو يعرّفه بي قال: « هذا الحاج أخي . أترى هذه الزينة بيديه علّقها كلّها..» ثم التفت نحوي كمن باغته خاطر سيّئ وسألني فجأة:«كيف حال ابنتك؟ علمت أنّها تحتاج عملية عاجلة هل أجريتها لها؟» هززت رأسي وأنا أردد مربكا: «الحمدلله أحسن. الله يتولّاها» واستأذنت من فوري وخرجت.. ابتعدت عنهما وأنا أفكّر أنني ضيّعت فرصة ذهبية ساقها الله إلي لأطلب المال من الوزير.. تخيلت وجه زوجتي عندما تعرف بانهزامي .. تخيّلتها تنعى ابنتنا. هممت بالخروج من باب المسجد وأنا أحاول أن أهرب من صورتها من دموعها ومن وجع ابنتي واذا بهاتفي الجوّال يرن. جمد الدم في عروقي وفرّ قلبي فلا بدّ أنها زوجتي ولا بدّ أن المكروه وقع، فلم تتصل الآن وهي تعلم أنّي في المسجد!؟ حملت الهاتف إلى أذني فورا وضغطت على زر قبول الإتصال فجاءني الصوت ملحّا «عجّل الآن إلى المستشفى وأتمّ إجراءات العملية لابنتك ببركة الإمام العسكري عليه السلام».

لقد كان الشيخ. فهمت من فوري من هو الذي تكفّل بدفع المال..

جرت دمعتي على خدّي وأنا أتذكر قوله تعالى ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ المنافقون:٨ حمدت الله وأنا استحضر سؤال أحمد بن خاقان في القصة التي قرأتها قبل ساعة (كيف لهذا الشاب الصغير أن يحظى بكل هذا التكريم من والدي!؟ بل من يكون!؟) ثمّ قلت في نفسي لابدّ أنك عرفت في نهاية المطاف من يكون ووقّرته شئت أم أبيت. هاهو فتح قلوب محبّيه لتيسير عملية ابنتي بفضل الله، لقد نَظر في وجهي.

نَحْوَ قَلْبٍ مُضِيءٍ

القصة الفائزة بالمركز السابع

للكاتبة رحاب حسين عبد فرهود العريفاوي

- العراق -

«الخَرابُ يكبرُ في كلّ مكان، الويل لمن خرابه في الدّاخل»

روبرت هاس.

كادت أقدامه تتهشّم وهو يطرق حدود البلدان، ترافق خطواته حسرات حارة شاهقة مخيمة فوق هامته كالغيمة، تتدلّى على الأرض ثيابه المُهترئة الملوّنة بألوان الصّدأ، تسند مشيته ضلوع حديدية تبرز تفاصيلها من خلف تلك الثّياب، يترقب بزوغ الفجر من خلف نوافذ صماء استَقْبَلَته ضيفاً ليوم واحد فقط، تتوهج الأنوار تدريجياً، فيزيح الأغطية عن الرّؤوس الخاملة، وجوه متشابهة تبدو كما لو أنّها مستنسخة وأخرى مختلفة تماماً، بيضاء، صفراء، سمراء، طامحة، آملة، بائسة، جمعت كلّها تحت سقف واحد، حلقت بعينيه بمختلف المشاعر ممتعضة من سلوكه اتجاه حرمة النّائمين، نظر له بعضهم من ثقوب الغطاء بزفرة غيض متذمرة، بينما كان بعضهم يتوسل به أنْ يكف عن ملحته اللّجوجة في لحظات الفجر، بدأ ينظر من حوله للطرق الشّاحبة ليخفف عن نفسه نظرات الاتهام، تابع حركته نحو مصدر الماء ليؤدي ما تبقى من فروض.

وفي فترة الصمت، بينما كان يشد الرّحال استعداداً لإكمال رحلة العشق، ودون أنْ ينبس ببنت شفة، طمع أحد الغرباء بحاله كان رجلاً عجوزاً يبدو أنّه شارف على استقبال الثّمانين من العمر، متواضعاً يفوح الغموض من كلا جانبيه، انعطف اتجاهه بهمس شديد، يشبه لغة اللّصوص...

- ألم تسأم من الجلوس لوحدك؟ ألا ترغب في مشاطرتي الطّعام ولو برغيف واحد.

أجابه بصوت نحيل تكاد تشتته نسمات الرّياح العابرة

- جزاك الله خيراً يا عم، يجب أنْ أكمل رحلتي نحو المقصود.

- ألا تظن أنّك لا تحمل شيئاً من ذلك الزّاد؟ لم لا ترغب في البقاء هنا ليلة إضافيّة، أحمل كثيراً من الأسرار من الممكن أن نتسامر بها طوال اللّيل.

لم يكن لديه الصّبر الكافي، نظر نحو الرّجل العجوز بنصف ابتسامة، وأكمل سيره اتجاه الفرس.

أعاد العجوز العرض بطريقة مميزة هذه المرة دون أنْ ينجح في استمالة الرّجل ولا حتى أنْ يحظى في نظرة منه، سار خلفه كالمنبوذ بهمس وجحوظ عيون حادة، لفتت أنظار الجمع الغفير.

- لكنها أسرار جميلة، بالرغم من ثقلها على كتفي من سنين، ستفتح لك أبواب السّماء، ستجعلك تبصر من قلبك، لن تسير بعدها بمسافة ضيقة، عد ياهذا، فأنت في خطر إن تصر على وجهة نظرك تلك، أريد أن ألفت نظرك إلى عوالم كثيرة، فأنت تستطيع أن تثبت ولاءك بطرق شتى، إذا فشلت ستخلد مع الشيطان في طبقة واحدة.

لم يلتفت للعجوز تابع سيره ممسكاً بلجام فرسه، وهو يقول:

- وأنت ماذا لو اكتشفت أنك لست على حق؟ ماذا ستفعل حينها.

لقد اختصر الأمور كلها بجمله التي رماها خلفه، ومن دون أنْ يهيئ لنفسه متاعاً يسد به رمق الطّريق الطّويل، مضى نحو غايته جسد بلا دم، يبث صدى صوته في أزقة المدن الضّيقة، بأنينه وإيماءاته وتمتمته الغريبة التي لا تتبدل، بنفس واحد وبخفوت بطيء.

قطع عشرات المدن تزاحمه الأفكار ونظرات المحدقين به باستغراب، تحيطه شكوك الآخرين كالدوائر، كيف لهذا الهيكل العظمي التقدم في السير كبني آدم، ربما ظنّ بعضهم أنّه ضيف من العالم الآخر جاء لتفقد أمر ما، تتوالى من حوله الأصوات الهامسة حينما يضطر للانحناء فيبدو ظهره كقطعة خشب يابسة، تزاحمت عليه لا يعلم أضحك هي أم بكاء.

بتلهف يتجاوز المدن والأزقة ليلاً ونهاراً، وسط زحمة البيوت الغامضة، والصّحاري المنسيَّة، يكتفي بأي شيء يناله من عطف الآخرين، تظلله الأشجار الحنونة بأوراقها وتهبه المتواضع من ثمارها، حينما يستريح لأداء فروضه راسماً صور اللّقاء الذي أوشك أن يقترب .

للحظة أدرك أنّه اليوم الأخير من الشّهر، لقد وصل إلى مرحلة تعب حقيقي حينها لفت انتباهه قرب أحد أزقة المدينة أصوات أطفال، لم يكن مصدقاً أنّه شارف على نيل المراد، ارتعد قلبه وارتجفت يداه أراد التأكد مع أنه كان على يقين تام، اقترب من الأطفال للسؤال عن اسم المدينة.

بدأ يقترب من محط لعبهم فيما كان الخوف يخيم على بعضهم من منظره غير المألوف الذي زادته الأسفار ذبولاً واصفراراً، وليكتسب ألفة الأطفال له حدّثهم برقيق الكلام:

- حياكم الله يا أبناء الكرام، أعذروني لكني كما يتضح لكم رجلاً كبيراً، لا أعلم كم مرة جئت إلى هذا المكان ... هل زرته أو مررت به من قبل أم لا؟ كأني أول مرة أراه هل يعلم أحدكم يا أحبائي ما اسم هذه المدينة؟ هل تعلمون شيئاً عن أشرافها وساداتها؟

أجابه أحد الأطفال الذي كان أكثرهم نباهة من بعد

- إنّها مدينة العسكر، هل نستطيع مساعدتك في شيء ما؟.

تأكّد أنّه لم يكن مخطئاً، وأنّ حلمه المنشود بدأ يقترب من أرض الواقع، اختلطت المشاعر في ملامحه، الأمر الذي جعل الطّفل اللّبق يغوص في عمق هذا الغريب انتابه الفضول حول معرفة قصة الرجل، فوجد ثغرة في سؤاله أراد اقتناصها كفرصة ...

- معذرة يا عم ... أراك سألتنا عن سادات المدينة وأشرافها، ألم يخبرك أحد عنهم، أيجهل سادات المدن في ذروة أيامنا هذه؟

بدأت ملامحه تتوقّد من جديد، عرف أنّه قريب جداً من الغاية، وأن المسافة باتت صفراً بينه وبين تحقيق الأحلام، أنصت لكلام الطّفل بانتباه مشوب بنظرات غرام فائق.

بينما أكمل الطفل كلامه:

- أنا متأكّد أنّك لست غريباً عن هذا المكان، فملامحك تفسر معرفتك الجيدة لهذه المنطقة، التي تنعم صباحاً ومساء بشذى ساداتها وأشرافها، بمنطقهم وحكمتهم العذبة التي تشرق من عبق باحاتهم، يُلوّن تهجدهم لياليها المعتمة، وتشرق الشّمس مستعينة بغرر وجوههم، أراك سائلاً عنهم وهم حديث أعماقك.

لملم الرّجل الأسرار، مبتعداً عن نواظر الطّفل اليقظ، لم يرد إماطة اللّثام عن خلجات الأعماق، ولا جبال الأسرار التي تخيّم وسط أضلاعه، أكمل سيره بطريقة منحنية تارة ومستقيمة تارة أخرى، ممتدة ومقطوعة، لم يعد يفرق بين الوحشة والسكينة، المألوف وغير المألوف، تتضارب العوالم في عقله بنوعيها المادي والمعنوي، اختلطت في وجهه الألوان: أصفر، أسمر، أشهب، أوصله مساء اليوم الأخير إلى دكان حمام، استند على جدار جاف، انفصل فيه عن الوعي حينما سلطن عليه النّوم بشكل غيبوبة، حتىّ أدرك فجأة أن مقرعة ترن بصوتها قرب أذنيه كأن قوة خفية مسكت جسده النحيل فبدأت بهزه بلا هوادة، يدفع عن جسمه الإحساس بالإغماء، ترافقه غصة عريضة هرع بنصف وعي، تنبه قليلاً فوجد أنّه استيقظ قائماً رامياً نفسه تحت أقدام القمر الثّالث عشر يقبّل أقدامه وفخذه وهو راكب والنّاس من حوله.

لكن الأمور جاءت على غير ما يشتهي، لم يكن الحبيب الذي أعدّ

الرّجل السنوات بلياليها وأيامها بغية لقائه راضياً بذلك الحال، كان يمقت المغالاة، وحينما اقتربت العيون من بعضها حاول أن يقول شيئاً، ولكن فمه كان مغلقاً، لم تترك له أمواج المشاعر فرصة للتعبير، كان يتخبط بين عالمين كبيرين واسعين واحد مشرق وآخر ضبابي، واحد قريب ساكن وآخر بعيد موحش، وبينما كان يصارع تيارات المشاعر المختلطة محاولا تهدئة رفرفة القلب الذبيح أتاه الصوت المشحون بعتب واضح، لم يكن الحبيب راضياً بذلك الحال، كان يقف بحزمٍ ضد كل أمر متجاوز للمعقول، كان لا يترحم على الغلاة، لكنه لم يتركه دون إشارات، عبّد له الطريق بقول أيقظه وأعاد له ذاكرته المفقودة، حرره قمر سامراء الإمام الثالث عشر من الكذبة التي طالما أحاط بها نفسه ظننّا منه أنّه يحاول حمايتها من القدر الأسود، أيقظه بجمل حيّة يرن صداها في آذان كلّ دهر ...انتهى الموقف حينما فاح عبير نسائم الحكم من ثغر القمر قائلاً:

يا إدريس: ﴿**عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾[1]

هل بكى؟ يبدو أنّه تذّكر كلّ شيء الآن عادت ذاكرته، و فهم الغاية التي جعلته في محط ولادة قلب جديد، أحس أنه كان يدور بعقل فارغ وأنه لم يستطع التحكم بقيادة نفسه، كيف ترك للعناكب السوداء نسج شباكها في ذاكرته الدقيقة، لكنه عزم هذه المرة على أن ينتزع رداء المأساة ويمضي يضرب الجبال تاركاً فكره العتيق تحت أنقاض المدينة.

١- سورة الأنبياء: الاية ٢٦-٢٧

هداية المضلل

القصة الفائزة بالمركز الثامن

للكاتب ا. م . د اصغر طهماسبي البُلداجي

- جمهورية ايران -

بسم الله الرحمن الرحيم

فكر في نفسه وأومأ برأسه بالموافقة، كأنه قد وصل إلى شيء؛ عندما رأيت وجهه كما لو أنه قام باكتشاف عظيم. ارتسمت على شفتيه ابتسامة راضية، يهمس مع نفسه ويكتب الأشياء على اوراقه. كنا نجلس أمام أستاذنا ونحن ننحني وننتظر أن يتكلم. فجأة فتح فمه وقال: لقد كتبت كتابًا، كتابًا مهمًا جدًا؛ وفيه كلمات جديدة. هذا الكتاب يمكن أن يغير رأي الكثير من الناس، بل ويغير معتقداتهم. نظرنا إليه جميعًا في صمت ودهشة، وكنا ننتظر معرفة اسم الكتاب. ما هو الكتاب الذي يمكن أن يحدث تحولا هائلا؟ ماذا يوجد في هذا الكتاب الذي تم وصفه بهذه الأهمية؟ في هذه الأثناء فتح فاه مرة أخرى وقال: كتابي تعارضات القرآن. لحظة استغربنا كلنا؛ تعارضات القرآن؟؟ ماذا يقصد؟ في هذا الوقت بدأ يتحدث مرة أخرى وقال: لقد درست القرآن وقرأت آياته؛ هذه الآيات تتعارض مع بعضها البعض وتخالف بعضها البعض. إذن، مع هذه التناقضات لا يمكن أن يكون هذا القرآن كتابًا إلهيًا وسماويا. تظهر هذه التناقضات في هذا الكتاب أن هذا ليس كتابًا سماويًا، بل هو كتاب بشري. صمت جميع الطلاب ولم يجرؤ أحد على الشكوى للأستاذ؛ كيف يتعارض هذا الكتاب الذي نقبله ككتاب سماوي؟ خرج الجميع وهم في حالة شك، وكل واحد منهم كان متفاجئًا وضايعًا في التفكير في

كلام الأستاذ.

كنت في حيرة وذهول تام، لم أعرف ماذا أقول؟ لقد غاب السلام والهدوء عن ذهني تمامًا؛ لم أنم بسلام. كيف يقول أستاذنا هذا أن القرآن ليس كتابا إلهيّاً وسماويّاً؟ فكيف يوجد تعارض في هذا الكتاب الذي نعتقد أنه من عند الله؟ بينما نفى القرآن أي تعارض من نفسه وقال: ﴿**أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فيهِ اخْتِلافاً كَثيرا**﴾ (النساء/ ٨٢).

لقد شغلتني هذه الفكرة لساعات وأيام وأزعجت عقلي وفكري. لقد فوجئت وعجزت تمامًا وطلبت من الله العون ودعوت الله أن يزيل عني هذا الشك ويهديني إلى الهدى؛ حتى أعانني الله واستجاب دعائي إنه سميع الدعاء وقد وفقني للوصول إلى خدمة الإمام الحسن العسكري عليه السلام. حين رأيته كان كأنه يعلم كل شيء بإذن الله ويعلم بمشكلتي مع أستاذي؛ ومن دون أن أثير مشكلتي معه، نظر إليّ وقال: «أما فيكم رجل رشيد يردع استأذكم الكندي عما أخذ فيه من تشاغله القرآن» ثم قلت: نحن من تلامذته كيف يجوز منا الاعتراض عليه في هذا أوفى غيره. ثم قال عليه السلام: «أتؤدي إليه ما ألقيه إليك ؟» قلت: نعم. ثم قال الأمام عليه السلام: «فصر إليه وتلطف في مؤانسته ومعونته على ما هو بسبيله فإذا وقعت الأنسَة في ذلك فقال

قد حضرتني مسأله أسألك عنها فإنه يستدعي ذلك منك فقل له إن أتاك هذا المتكلم بهذا القرآن هل يجوز أن يكون مراده بما تكلم منه غير المعاني التي قد ظننتها أنك ذهبت إليها ؟ فإنه سيقول لك انه من الجائز لأنه رجل يفهم إذا سمع، فإذا أوجب ذلك فقل له: فما يدريك لعله قد أراد غير الذي ذهبت أنت إليه فيكون واضعا لغير معانيه». كان لخطاب الإمام أثر كبير في نفسي وأعطاني أملاً جديداً؛ كان الأمر كما لو أن كل شكوكي التي أثارها أستاذي قد اختفت. لقد نفخت روح الأمل في نفسي. لقد هدّأ الإمام قلبي بكلامه وارتاح ذهني. لكنني علمت أن أستاذنا، فكر بشكل خاطئ وأخطأ. فقلت في نفسي يجب أن أنفذ أمر الإمام كما قال حتى أنقذ أستاذي الكندي من هذا الضلال الواضح. فقلت في نفسي: لا بد أن الإمام كان يعلم بعلمه أن الكندي يمكن أن يرشده وأنه يمكن أن يهتدي. لو لم يكن الأمر هكذا، لما نصحني بالعلاقة الحميمة معه وأخبره بهذه الكلمات. مما لا شك فيه أن آل النبي أعلم وهم حريصون على هداية الناس مثل جدهم. بل إن جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله كان حريصًا على هداية الناس، حيث كان في هدي المشركين كما جاء في القرآن: ﴿**لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾ (الشعراء: ٣) نعم، إن سيرة أهل البيت عليهم السلام مثل رسول الله صلى الله عليه وآله تقوم على هدى الناس. همست بهذه الكلمات

لنفسي وذهبت إلى أستاذي الكندي. كأنني أتوجه إليه بقلب ثابت وعلم قوي. كان الأمر كما لو أنني أصبحت أستاذا وهو تلميذ؛ كان من المفترض أن أرشده بكلمات الإمام.

لما رجعت إلى أستاذي الكندي، كما أمر الإمام تعاملت معه وحاولت التقرب منه. لما اقتربت منه قلت له نفس ما قاله الإمام؛ فجأة وقع في تفكير عميق، وكأن زلزالاً عظيماً وقع في أفكاره. وبعد تفكير عميق نظر إلي وقال: أقسمت عليك إلا أخبرتني من أين لك ؟ قلت له: انه شئ عرض بقلبي فأوردته عليك، فقال كلا ما مثلك من اهتدى إلى هذا ولا من بلغ هذه المنزلة فعرفني من أين لك هذا ؟ ثم أخبرته: امرني به أبو محمد؛ فقال: الآن جئت به وما كان ليخرج مثل هذا إلا من ذلك البيت، ثم إنه دعا بالنار وأحرق جميع ما كان ألفه. وهكذا غيّر كلام الإمام الشخص المضلل الذي اختار الطريق الخطأ، وهذا هو طريق قادة الأمة...

رحلتي من جناح طائر

القصة الفائزة بالمركز التاسع

للكاتبة زهراء محمود جعفر الكاظمي

- العراق -

مع بزوغ شمس الصباح، أصبحت أتمايل تحت أولى خيوط الضوء، متفاخرة على أقراني بطولي الميّال وجمالي الأخّاذ، فقد كنت أجمل ريشة على جناح طائر فتّان.

نعم، أنا ريشة أحلق بين الغيوم، أتطلع إلى بديع صنعه تعالى، أسبح بحمده وأقدس له...، ولكنني لم أكن أعلم ما يخبئ لي القدر في ذلك اليوم.

بعد ساعات من طلوع الفجر، جاء رجل طويل القامة، شديد البنية، مقطب الحاجبين، أمسك بالطائر، وبدأ يبحث بين جناحيه، يقلب الريش واحدة تلو الأخرى، وكلما مرّ على ريشة متينة وجميلة اقتلعها من بدن الطائر. حينها تملكّني الخوف، وارتعدت جميع خلاياي، فأنا لا أريد أن تكون هذه نهايتي...

وبينما أنا في هذا الحال شعرت بيده الخشنة تلامسني وتتفقد أوصافي، وكأنه قد أعجب بي، ثم أمسكني بقوة، تمنيت لو كان بإمكانه سماع صراخي واستغاثتي، لا أريد... لا تفعل بي هذا... لا... لا... ولكنه قد انتهى الأمر فاقتلعني بأقل من طرفة عين.

ما فارقني الحزن منذ تلك اللحظات لأمد بعيد إلى أن التقيت بعد فترة بريشات أُخر جميعنا عرضنا للبيع عند تاجر لطيف كان يعتني بنا ويرتبنا، فانتابني الفضول لشدة حرصه على الحفاظ علينا، فسألت إحداهن عما يجول في سريرتي، فأخبرتني بأننا سنكون أقلاما يُسطّر بنا

علما، لعله يكون نافعا، فنكون سببا لنشر هذا العلم وانتفاع العالم به.

شعرت حينها بالسرور وكأن عادت لي الحياة، بل سأكون سببا للحياة، أخذت الخواطر تراودني... سيخط بي علما، سأخلد في التاريخ، سينتفع بي الأجيال القادمة...

واستيقظت على صوت رجل حكيم:

- بكم هذا القلم؟

دفع النقود وأخذني معه وكلي تبجح واعتزاز بما سيُفعل بي.

مرت الأيام وأنا تغمرني سعادة لا مثيل لها، لأنني صرت أداة لتخليد العلم، ومما زاد سعادتي هو اطلاعي بمكانة سيدي العلمية، فقد عرفت لاحقا بأنه فيلسوف العراق الكبير يعقوب بن إسحاق الكندي.

لكن هذا الإحساس لم يدم طويلا، فبعد مرور برهة من الزمن، عمد الكندي بتدوين كتاب «تناقض القرآن» للاستدلال أن كتاب الله تعالى فيه تناقضات. وبالفعل قد بدأ بجمع جملة من الآيات القرآنية التي يبدو للناظر فيها من الوهلة الأولى أنها تحمل التناقض، وكان عازما على نشرها.

يوما بعد يوم كان الفزع والارتياع يستفحل بداخلي، فكيف بعبد ضعيف، الوقوف بوجه جبار السماوات والأرض؟!

وكيف لي أن أكون وسيلة لنسخ هذه الأوهام الباطلة؟!

كيف أعدو على الأوراق لأسجل بها ما يغضب الرب؟!

وكيف سأواجه خالقي بهذه الفعلة النكراء؟!

وأنا التي كنت على جناح طائر أسبحه ليل نهار، من فوق الغبراء أو في عنان السماء.

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ الإسراء:٤٤

كرهت نفسي، ووددت لو كنت ريشة بيد طفل يرسم بي، أو حتى يلعب ويلهو... بل أكثر من ذلك تمنيت لو أكلتني الديدان، ولو صرت عدما، ولما وصل بي الحال إلى ما أنا عليه الآن.

مرّ أمد بعيد وأنا لا يستقر لي حال، مترقبا الفرج، متوكلا على الله عز وجل لعله يبعث من ينصر كتابه العزيز. وفي أحد الأمسيات العلمية التي كان يقيمها الكندي مع طلبته، تلطف تلميذ في مؤانسة أستاذه، ومعونته على ما هو بسبيله، فإذا وقعت الأنسة في ذلك، قال التلميذ:

– قد حضرتني مسألة أسألك عنها، فإنه يستدعي ذلك منك.

– فقال الكندي: اسأل.

– إن أتاك المتكلم بهذا القرآن، هل يجوز أن يكون مراده بما تكلم منه غير المعاني التي قد ظننتها إنك ذهبت إليها؟

– إنه من الجائز.

– فما يدريك قد أراد غير الذي ذهبت أنت إليه فيكون واضعا لغير معانيه؟

– فقال الكندي منبهرا بكلام التلميذ: أعد علي، فأعاد عليه، فتفكر في نفسه ورأى ذلك محتملا في اللغة العربية وسائغا في النظر والفكر.

– فقال: أقسمت عليك إلا أخبرتني من أين لك؟

– إنه شيء عرض بقلبي فأوردته عليك.

– كلا، ما مثلك من اهتدى إلى هذا ولا من بلغ هذه المنزلة، فعرفني من أين لك هذا؟

– أمرني به أبو محمد.

– الآن جئت به، وما كان ليخرج مثل هذا إلا من ذلك البيت.

ثم إن الكندي دعا بالنار وأحرق جميع ما كان ألفه.

بدت البهجة تعتري كل فرائصي وفي نفس الوقت أصابني فضول لمعرفة المزيد عن هذه الشخصية العظيمة، ذو الرد الحكيم لأكبر محاولة تخريبية عبر التاريخ، كان الكندي قد تصدى لها.

وقد سمعت فيما بعد من أفواه تلاميذ الكندي عن أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام وأنه الحادي عشر من أوصياء النبي محمد صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء والرسل، والذي سيتحقق العدل الإلهي على يد ولده المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وقد كان أبو محمد يتابع حركة الثقافة في عصره، ويتحرك على كل الاتجاهات المتضادة التي تنطلق في مواجهة الإسلام، فلم يكن خارج نطاق الواقع الثقافي، وهذا ينطلق من مسؤولية الإمام عن تصحيح

المسار الإسلامي في كل ما يمكن أن يعرض عليه من الانحرافات[1].

ومن هنا كان دافع الإمام عليه السلام لتصحيح المسار الفكري للفيلسوف الكندي، والحد لما كان يسير عليه، من خلال أسلوب الحوار غير المباشر بواسطة التقرب إليه من قلبه قبل مخاطبة عقله حيث إن أسرع طريق للوصول إلى العقل هو قلب المرء، ثم إلقاء الفكرة إليه على سبيل الاحتمال ليدفعه نحو التأمل، فيصل بذلك إلى ما هو المطلوب بعيدا عن شتّى أنواع العنف أو القساوة.

إذ روى بعض تلامذة الكندي أنه دخل يوما على الإمام العسكري عليه السلام، فقال أبو محمد: أما فيكم رجل رشيد يردع أستاذكم الكندي عما أخذ فيه من تشاغله القرآن؟

فقال التلميذ: نحن من تلامذته، فكيف يجوز لنا الاعتراض عليه في هذا أو في غيره.

فقال عليه السلام: أتؤدي إليه ما ألقيه إليك؟

قال: نعم.

قال الإمام: فصر إليه وتلطف في مؤانسته ومعونته، فإذا وقعت الأنسة في ذلك، ألق إليه الفكرة، فإنه رجل يفهم إذا سمع.

وحدث مثلما أراد أبو محمد عليه السلام، وكان ذلك باعثا لتراجع الكندي

١ – مناقب آل أبي طالب – ج ٣ – الصفحة ٥٢٦

عمّا كان عازما عليه، ويستدل بهذا على الإحاطة التامة للإمام بمختلف الشخصيات وكيفية معاملتهم، ويرشدنا إلى جهاده العلمي من حيث قيامه بمسؤولياته الإسلامية في رد الشبهات، وإقامة الحق عن طريق المناقشة العلمية والجدل الموضوعي.

فصار ذلك الموقف درسا عظيما، تعلمت منه أن مجرد العلم لا يكفينا فخرا، فهناك كثير من العلوم التي لا تضر معرفتها ولا تنفع.

فالعلم الحقيقي هو الذي يوصلنا إلى معرفة خالقنا...، معرفة الهدف الذي خُلقنا من أجله...، معرفة ما نحن فيه الآن وما سنكون عليه بعد رحيلنا من هذه الدنيا، وما سينفعنا لضمان سعادتنا في الدارين.

نعم، هذا هو العلم حقا، وليس الذي يكون سببا لضلال صاحبه وإضلال غيره، وبالتالي يكون سببا للهلاك لا الحياة، وقد عرفت حينها لم يختلف أينما أكون، سواء كنت ريشة على جناح طائر أو قلما بيد عالم، بل المهم كيف أكون...؟

والأهم أن تكون لي رسالة، وأن أترك أثراً وبصمة حيثما وُجِدت.

ريشة على جناح طائر يُذَكِر الناس ببديع خلق الله تعالى فيعظمونه ويشكرونه، أو قلما يُكتَب به علماً يقرب العباد إلى طاعة الرب ويبعدهم عن معصيته.

وصية

القصة الفائزة بالمركز العاشر

للكاتب م. د. نصير جابر الفتلاوي

- العراق -

وَصلنا في حدود السابعة مساء، سحبتُ الحقيبة الجلديّة السوداء بتمهل، أصرّت أمي أن نذهب لبيت جدي لأبي قبل الذهاب لبيت أهلها. فأشرتُ للسائق أن يذهب، وقفت أمي بجانبي تختنق بعبرة ساخنة و تكفكف دموعها بصمت وحسرة، أخيرا نحن قبالة البيت. بيت جدي الذي طالما روت لي أمي عنه الحكايات الطويلة، هي لا تعرف عن ساكنيه شيئا منذ ٢٤عاما بالتمام والكمال، فقد هاجرت مع زوجها سرّا عام ١٩٧٩، هربا من القمع وحملات الإبادة التي طالت الكثيرين، وكان الخروج هو الحلّ الوحيد، استقرت في أستراليا بعد رحلة تهجير شاقة وطويلة لا يمكن اختزالها بجمل أبدا، وهناك بنت حياتها مع أبي وأنجبتني عام ١٩٨١، ولم تكن تستطع أن تتواصل مع أحد هنا لأسباب كثيرة أولها خوفها على أهل زوجها لحراجة موقفهم كون جدي أحد وجوه المدينة الكبار، فضلا عن كونه رجل علم له مؤلفات مطبوعة كثيرة ومن المؤكد إنّه تحت أنظارهم ليل نهار . ولأنّه رجل كبير في السن فقد هجست إنه متوفى، على الرغم من إن الأمل كان يجرّها إلى بقعة ضوء ساطعة سرعان ما تلاشت حينما خرج لنا صبي لمحت فيه أمي ملامح أهلها، فسألته بودّ هل الشيخ موجود ؟، فصمت الصبي مُستغربا، ثم سألته عن أم علي، فقال الصبي وهو يشير إلى داخل الرواق المضاء بمصبح نيوني أبيض: نعم... هناك تصلّي .

هرعت أمي راكضة وبقيت انتظر قرب عتبة الباب، فسمعت صوت بكاء عال، وضجة كبيرة، اختلطت الأصوات والمشاعر، ميزت بعض العبارات، لم أفهم بعضها، عادت أمي وهي تسحب في يدها عجوزا في عقدها الثامن وقالت وكأنّها تدلها على كنز نادر: عمتي هذا ابني .!!

احتضنتني العجوز بقوة، تشبعت رئتي برائحة ماء الورد الفاغمة، لم يكن بوسعي تلك اللحظات إلاّ أن استرجع حكايات أمي وأبي، فقد رسموا بالكلمات وجوه أهلهم فردا فردا، جدي وجدتي وعمّاتي .. خالاتي وأخوالي ..وجه جدي الذي كان أبي يحتفظ له بصورة صغيرة جدا غير واضحة المعالم .

كان البيت من الداخل أكبر بكثير ممّا يبدو عليه بابه الصغير المتهالك، غرف كثيرة تتناثر حول صالة واسعة، بينما كانت المكتبة الكبيرة تشغل مساحة غرفتين، هالني عدد الكتب وترتيبها الغريب وأثاثها الذي لم ألفه، فقد فرشت بسجاد مورّد لامع، تتوسطها منضدة واطئة، صفّت عليها كتب وأوراق كثيرة ومقلمة من الخزف المذهّب فيها مجموعة كبيرة من أقلام الجاف والرصاص وقد بدت وكأنّ صاحبها قد غادرها قبل قليل .

لم تكن لغتي العربية التي تعلمتها في البيت تسمح لي بالقراءة بطلاقة لذا بدأت أتصفّح الكتب وأعيدها إلى أماكنها بهدوء وحذر،

أدهشني الخط العربي وطريقة زخرفة عنوانات الكتب شعرت إنه خطّ حي يختلف عن الخط الاسترالي الكالح، ثمّة لمحات فنية فيه وحيويّة وحركة ملفتة للنظر .

الليلة الأولى في بيت جدي، انتهت ببكاء مرّ أجهشت به أمي لمرات ومرات لما علمت بتأريخ وفاة جدي وتواريخ أخرى لوفيات أفراد من العائلة، طلبت منهم إن أنام في المساحة الفارغة في المكتبة، شعرت بسكينة جارفة وأنا أتأمّل صور جدي الكثيرة التي تهجع بسكون على الجداران، وجهه الحنون، عيونه الواسعة، ملابسه الجميلة التي أراها لأوّل مرة، بحثت عن شبه يجمعنا، غفوت وأنا أنظر لوجهه الذي شعرت به يكلمني.

صباح اليوم الثاني، كان تقبّلي للمكان مختلفا إذ شعرت بألفة أكبر، قالت جدتي إنه رحمه الله ترك مسودّة لكتاب كان يروم تأليفه، وقامت بتثاقل نحو زاوية من المكتبة، وأخرجت أوراقا مطويّة بعناية ووضعتها أمامي على الطاولة، ثم قالت وكأنها تذكرت شيئا، ترك لك وصيّة، كان يشعر إنك ستأتي ذات يوم، ثمّ نظرت بتساؤل في وجه أمي: (هل يقرأ حفيدي اللغة العربية؟)

ورقة (١)

مسودّة من عشرة أسطر كُتِبت بقلم حبر غامق، عليها شطب وتبديل لكلمتين فقط، وبها عنوان فرعي (توطئة).

اعلم إنّك وريث مدرسة فكريّة عظيمة، عنوانها السلام والمحبّة، وتقبّل الآخر، والتفهم، لا ترفض واقعك أو مجتمعك بل تقبّله وتعلّم منه، ثم كن أنت ولا تكن غيرك.

كن أنت بهويتك التي تحدّدها وتحبّها، وعش حياتك وكأنك تؤدي امتحانا مصيريّا لابدّ أن تنجح فيه.

هويتك يجب أن تنبع من داخلك، لا تستصغر ما تعلمته ولا تراه صنما تعبده، بل حاوره دائما واعبر نحو وعي جديد، ولكن حذاري، حذاري من أن تنتزع روحك من غرينها .

مرّ شهر رمضان علينا أنا وجدتك، وكأنّه دهر، نحن لانسمع فيه غير صدى الصمت، وحدنا في هذا البيت الواسع، لا يؤنس وحشتنا إلاّ صدى الذكريات التي كان ينثرها ابننا الوحيد رعاه الله وفرّج عنه كربته وغربته وأعاده لنا وقرّ أعيننا به وبذريته.

ورقة(٢)

مسودة سبعة أسطر فقط، كُتِبت بالقلم نفسه من دون شطب .وبها عنوان كتب بخط عريض (مقدمة)

وأنا أخطو نحو مصيري المحتوم، وأرى أيامي المتثاقلة تذوب بصمت في نهر الزمن الجاري، أشعر برغبة عارمة أن أترك هذا الكتاب، الذي أتمنى أن أنجزه بأسرع وقت

فبفضل الله وقوته سأبدأ بتدبيج السطور الأولى من كتابي الجديد: **(لمحات من حياة الإمام الحسن العسكري)** سأحاول فيه شرح مواقف من حياة الإمام وقراءتها على وفق ما نجده اليوم من مفاهيم حديثة ... فطالما أيقنت ووثقت أن حياة الإمام والأئمة جميعا تصلح لتكون خطابا عصريّا لما احتوته من مواقف عميقة وأجوبة شافية تناغم العقل السليم والفطرة البشرية.

فمرور السنوات وتغير الأمكنة والأزمنة، لا يغير ما تضمّنته حياتهم من إشارات للخواص والعوام بلزوم خطهم ومنهجهم وسيرتهم .

فلا هداية أوضح من شموسهم المضيئة وسيرهم العظيمة .

ورقة (٣)

مكتوبة بقلم مغاير وبها عنوان خُطّ بلون غامق (ما كشف عن عظم نبي إلاّ وهطلت السماء بالمطر)

حينما جفّ قلب الغرين وتقحطت جوانح الرمل وتيبّست أعطافه وصارت تشتهي ودقا يزورها وتحلم بظلال غيمة يمرّ على سبخها الحرّاق، صاح المنادي أيها الناس عليكم بصلاة الاستسقاء، فصلّى كثر، رغبة ورهبة لكن القطر يعلم متى يهطل ومتى يستجيب، أعادوا صلاتهم ثلاثا، فما زادت السماء إلاّ تجهّما، وما زادت الأرض إلاّ تشقّقا، في اليوم الرابع خرج (الجاثليق) ومعه أتباعه من الرهبان فمدّ أحدهم يده بالدعاء فأمطرت السماء!

فشك من في قلبه زيغ وهوى، كان الإمام لحظتئذ في السجن، جاء حاجب الخليفة يصرخ (شكّ الناس في الدين)..كيف تستجب الغيوم لهم ولا تستجب لنا، فأخرجوا الإمام، وحينما رفع الجاثليق يده بالدعاء أمر الإمام أحد أتباعه فوجد الرجل يضع بين أصابعه عظمة سوداء عتيقة، بغفلة عن الناظرين!

فلما سحب العظم من بين أصابعه، سكن المطر.

الورقة (٤)

تتكون من أربعة أسطر فقط، كُتبت بخط مُنمّق، وقد بدت وكأنّها تكملة للوصية التي تركها جدي لي.

هل تعلم كيف تتعلم الصلابة والقوة، وتبتعد عن الشعور بالنقص، عندما تتعلم تأريخك الحقيقي، تعود إلى غدرانه الصافية العذبة، ستكون في مأمن عن أي كبوة، أنا الآن قلق عليك فأنت في بلاد غربة، بلاد بعيدة جدا عن وطنك، ولكن أنا الآن أكتب بثقة من أنك آت لتقرأ هذا الكلام.

الورقة (٥)

تتكون من أربعة أسطر فقط، فيها ما يبدو إنه تفكير بصوت عال عن فصل مقترح عن علاقة الإمام بعلماء عصره وبعض أقوال الإمام.

لقد بلغ عدد طلبة الإمام أكثر من ثمانية عشر ألف طالب، وقد بلغ من المنزلة أنه راجع كتابا للكندي وهو أستاذ الفارابي، فأحرقه الأخير بعد أن اكتشف إنّ ما فيه يخالف الشريعة الاسلامية!

من أقواله التي تحتاج إلى شرح طويل : (**إذا نشطت القلوب فأودعوها، وإذا نفرت فودّعوها**)[١]

وقال:(**اللحاق بمن ترجو خير من المقام مع من لا تأمن شرّه**)[٢]

١ – أعلام الدين في صفات المؤمنين، الديلمي: ج١، ص٣١٣.
٢ – بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٧١ – الصفحة ١٩٨

الورقة (٦)

بها مجموعة من الأسئلة والافتراضات التي يبدو أنه أراد الإجابة عنها. وتتكون من ستة أسطر فقط .

كيف عاش الإمام وسط ذلك البحر المتلاطم من المشاكل، فقد كانت فترة إمامته حافلة بالأحداث الجسام، إذ سيطر الأتراك على مقادير الدولة، وفي عهده ثار العلويون في أماكن متفرقة، فقد ثار الحسن بن زيد العلوي وسيطر على طبرستان، وفي عهد لقي المعتز مصرعه، فنصبوا مكانه المهتدي، الذي قتل هو الآخر فجاء بعده المعتمد .

الورقة (٧)

بقيت فارغة من دون أي حرف، فقط كانت هناك كلمة في وسطها: (سؤال)

اليوم انتهت إجازتي في بيت جدي، سأعود إلى أستراليا، وسأحمل هذه الأوراق معي، لعلني أستطيع أن أنجز شيئا حولها، تلك الأيام التي قضيتها هنا، على قصرها أرجعتني إلى عالم بعيد، وفكر آخر، ودنيا لم أعشها، أنا الآن مطمئن إلى هدف أشعر به قبالتي.

أريد أن أفهم تلك الأحداث وكيف يمكن أن تنعكس على حياتنا

المعاصرة، تلك التربية المثالية التي سعى لها الإمام، وفلسفتها، التحوّل بالإنسان من حالة إلى حالة، جعل المثل العليا هي الغاية التي تسعى إليها النفس البشرية في عروجها الدائم نحو الكمال.

وقفت أمام بيت جدي، كان النهار مشمسا، سحبت الحقيبة الجلدية السوداء بتمهل، نظرت إلى الباب الخشبي العتيق، عليه أثار أصباغ ورقم مكتوب بعشوائية، تقشّر من مواضع عديدة، فظهر لون الخشب الأصلي، اللون القديم، أشرت إلى السائق، لوّحت لجدتي، التي وقفت متكئة على ذراع أمي وكأنها شجرة معمّرة .

المحتويات

المقدمة ٤

دوران ٧

نوافـذ ١٧

من ثنيات العراق ٢٧

زارع الورد ٣٧

عصابـة الوصال ٤٣

عمليـة قلب مفتوح ٥٩

نحو قلب مضيء ٦٧

هدايـة المضلل ٧٥

رحلتي من جناح طائر ٨١

وصية ٨٩